رواية

لا أومن بالعجز

الجزء الأول

الإنسان المؤمن

رقيبة فتح الرحمن موسى

--

حقوق النشر محفوظة

جميع الحقوق محفوظة © للمؤلفة *رفيدة فتح الرحمن موسى*

لا يجوز نسخ، أو تصوير، أو إعادة نشر أي جزء من هذا العمل، سواء كان ذلك إلكترونيًا أو ورقيًا، بدون إذن كتابي من المؤلفة.

هذا العمل محمي بموجب قوانين حماية الملكية الفكرية، ويُمنع التعدي عليه بأي شكل من الأشكال.

الطبعة الأولى – 2025

إلى كل بطل في هذه الرواية ولو كنت تحمل غير الاسم

العالم لا يُبنى دُفعة واحدة فاجتهد ولا تبتئس

١.

شرارة البداية – قرية الشاطئ

إلى كل زول (إنسان) تستطيع أن تفعلها

لم نخلق بلا إمكانيات، نحن دائما نستطيع

في قريةٍ الشاطئ الوادعة،

تمتدّ الحقول كبساطٍ أخضر، والبيوت الطينية تصطفّ في صمت، كأنها تحفظ أسرار الساكنين فيها.

رائحة النهر، صوت العصافير، وضحكات متقطعة للأطفال... كل شيء يبدو طبيعيًا، لكن الحزن هنا لا يُعلن عن نفسه، بل يختبئ خلف الاعتياد.

في صباحٍ بدا عادياً، كانت * رفيدة* تعود من المكتبة الصغيرة الملحقة بمركز القرية. بين يديها دفتر ومجموعة قصاصات، لكنها لم تكن تفكّر فيما تحمله، بل فيما رأته.

كانت تمشي على مهل، حين سمعت صوتًا خافتًا من داخل أحد البيوت المفتوحة، صوت طفل صغير يقول:

"يا أمي... أنا حادرس طب، وأعالجك من الملاريا وما تتعبي زي كل مرة ."

لكن الأم لم تلتفت. كانت منهمكة تتابع مسلسلًا مصريًا على التلفاز الصغير، ترد بلا اهتمام:

*"قوم خليني في حالي،ما تقاطعني، الحلقة الأخيرةيا بشر !"

رفيدة توقفت، لم تتحرك. كانت الكلمات ثقيلة، كأنها صفعة على وجه الحلم.

واصلت طريقها نحو سوق القرية، وهناك رأت مشهدًا آخر. صبيًّا صغيرًا في التاسعة من عمره يركض بعيدًا عن المدرسة، حقيبته ممزقة، وعيناه تبحثان عن مفر.

أوقفه رجل وقال:

"رجعت ليه؟ الحصة ما خلصت!"

فردّ الطفل دون أن ينظر إليه:

"قالوا لي ما بنفع، قالوا أنا فاشل... والمدرسة دي ما ليها معنا."

تلك اللحظة، شعرت *رفيدة* أن شيئًا ينكسر داخلها. كانت تعرف أن هناك كثيرين مثل ذلك الطفل، لكن رؤيته يهرب من نورٍ كان يجب أن يحتضنه... كان موجعًا بحق.

لم يكن مشهدًا عابرًا، بل نداء. نداء من داخلها، ومن وجع الصغار الذين يُفترض أن يُنقذهم الأمل لا أن يخيفهم.

وعند أطراف القرية، لمحت صديقتها *شهد*، التي تدرس معها في المدينة. كانت تنتظرها عند ظل شجرة، بينما *رفيدة* تمشي وهي تحتضن دفترًا ممتلئًا بالخربشات والأفكار التي لم تنضج بعد.

شهد ابتسمت وقالت بمكر خفيف:

"قلتي لي في ناس بتتغيّر... أنا منتظراكِ.توضحي لي كيف؟"

رفيدة نظرت نحو الأفق، ثم نحو دفترها، ولم تُجب فورًا.

كانت لا تزال تُفتّش عن تلك الإجابة داخلها.

في تلك الليلة، جلست على سطح البيت، والنجوم تلمع فوقها. كتبت في دفترها:

"أنا لا أؤمن بالعجز. يمكن أكون صغيرة، ويمكن المجتمع كبير ومتعب... لكني أؤمن إنو التغيير بيبدأ من سؤال، من لحظة، من فكرة."

ثم أضافت:

"وشهد... لازم نبدأ سوا."

وهكذا، دون إعلان، دون ضجة، وُلدت شرارة.

****

عند عودتها إلى المدينة، قصدت *مكتبة المدينة العامة*، حيث اعتادت أن تجد بعض السكينة بين الكتب. هناك، التقت بـ *أحمد* ، طالب الهندسة الهادئ صاحب النظرة العميقة. أخبرته عن الفكرة، عن نية تشكيلفريق يحمل رسالة تغيير.

رفيدة (بإصرار):

"نحنا ما محتاجينـنبدأ بشي كبير... إعلان بسيط، ونشوف منو البيسمع النداء."

أحمد:

"لو الكلمة صح، ح توصل بإذن الله ."

صمّما إعلانًا كتب عليه:

"لو عندك قلب داير يغيّر لو مؤمن ان التغييرـممكن... تعال. ما عندنا وعود، لكن عندنا ايمان وتصميم."

نُشر الإعلان في الجامعة، في المقاهي الشبابية، وعلى منصات التواصل.

شهد، صديقة رفيدةمنذ الصغر، كانت أول من لبّى الدعوة.

شهد(بنبرةحانية):

"أنا دايمًا كنت معاكي، بس الليلة حسيت إنو لازم أكون معاكي في حاجة أكبر... في حاجة حقيقية."

يامن، أولى أعلام شاب خاض صراعات كثيرة، قال بهدوء لكنه كان يحمل نبرة تحدٍ:

"أنا ما مثالي، لكن ما داير أضيع زيادة. تعبت من الفراغ... وعايز أعمل فرق، ولو صغير."

أحمد رفع رأسه عن الكتب وقال بابتسامة خفيفة:

"المعرفة بدون فعل زي ضو بدون حرارة. المكتبة دي ما ح تكون بس كتب... دا ح يكون مقرّ نور."

فارس الرياضي الصاعد خريج كلية الطب وهو صديق أحمد المقرب

" الرياضة بتربط السلوك بالفكرة ودا جزء من التعافي"

حسام، المصوّر الحالم، درس لغات لكنه يحب التصوير قال وهو ينظف عدسة كاميرته:

"أنا بصور الوجع والفرح، لكن دايمًا كنت احس إنه في حاجة ناقصة... يمكن دا دورنا نكمّل الصورة."

*احسان * فتاة تعشق وتدرس الفنون، رفعت دفتر رسوماتها:

"أنا أؤمن إنو الرسم ممكن يكون علاج... ح نلوّن الأماكن الرمادية في أرواح الناس كل الصور الباهتة حتشع من جديد."

مها، تدرس إدارة أعمال كانت تكتب ملاحظات، لكنها رفعت رأسها وقالت بوضوح:

"درست المجتمع بما فيه الكفاية. لكن دا ما كافي، لازم أعيش وسطه، عشان أفهمو وأغيرو من جوه."

بعد هذا التعارف البسيط، اتخذوا قسم الحوارات في المكتبة الكبرى موقع للاجتماعات،اجتمعوا عدةمرات لمناقشة قضايا المجتمع والناس.

وبعد هذا التعارف الأول، اختاروا قسم الحوارات بالمكتبة الكبرى مقرًا لاجتماعاتهم الأسبوعية. ناقشوا مشاكل المجتمع، درسوا جذورها وتاريخها، وحاولوا اقتراح حلول صغيرة... لكنها صادقة.

النية كانت واضحة منذ البداية:

أن نبدأ من حيث نحن، ونصل لما نريد أن نكون عليه.

الإنسان ذلك الكائن المكلف

نحن هنا خلفاء لنجعلها احسن وأكثر توازناً ما استطعنا

في مساءٍ هادئ، اجتمع الفريق في المكتبة الصغيرة التي صارت لهم بيتًا ثانياً.

لكن هذا المساء كان مختلفًا... على المقاعد الخشبية التي اعتادت أن تحمل أفكارهم، جلس بينهم ضيف استثنائي: *د. سامي* – رجل في عقده الخامس، بوجه هادئ كأن الزمن صقله، وصوت رخيم يعرف كيف يطرق القلوب قبل الآذان.

دُعي خصيصًا ليحدثهم عن المعنى الحقيقي للانطلاق، لا كمشروع، بل كرؤية حياة.

استقبله الفريق باحترام وامتنان، وهم يشعرون أن شيئًا كبيرًا على وشك أن يبدأ.

د. سامي (وهو ينظر إليهم بتأمل):

– "الإنسان ما خُلق ليعيش على هامش الأرض، بل ليعمرها. أنتم الآن في بداية طريق، والتطوع مش هروب من الواقع... هو مسؤولية. أنتم مستخلفين، يعني ربنا أمّنكم على جزء من هذا العالم، وقال لكم: قوّموه."

رفيدة (وقد بدت كلمات الدكتور وكأنها لمست شيئًا عميقًا فيها):

– "أنا كنت بفكر كتير في الموضوع... يمكن إحنا بدئنا بدافع العاطفة، لكن الفكرة أعمق. التكليف دا يحولنا من العاطفة لموضع فعل وليس رد فعل. يعني ما ننتظر الناس تتحرك... إحنا نبدأ."

أحمد (بتأمل وهو يدوّن):

– "حتى قرارنا نكون متطوعين... هو إعلان صريح إنو نحن ما بنرضى نكون مجرد مارة. لما نساعد طفل أو نرسم بسمة... دا ما شفقة، دا إحياء لجزء من الدور اللي اتخلقنا عشانه. مشروعنا يبدأ من الإنسان وكرامته، قبل أي ظرف أو بيئة."

د. سامي (بهدوء وهو يلتقط كوب الشاي):

– "وبالضبط هنا بيكمن الفارق... في ناس بتفتكر التغيير بيبدأ من فوق، أو من الآخرين او من الاقتصاد او السياسية . لكن الحقيقة؟ التغيير يبدأ من الإنسان نفسه من لحظة صدق مع النفس... لحظة تقول فيها: (أنا مسؤول، لازم اعمل الصاح)ودا جوهر التحدي انك تساعد حتى وانت محتاج وتبني حتى لو مكسور لانك فاهم انه مافي مخلوق خُلق بدون وظيفة وإمكانيات، فالأولى انك انت الأعلى سلم الكائنات يكون عندكوظيفة وإمكانيات لو المجتمعات أدركت المعنى دا حيكون تحوّل فعلي."

*فارس *:

"التغيير البتخطى الإنسان ويبدأ من اي جانب تاني ممكن يكون تحسين وقتي حسب حجم البذل في الجانب المعيّن لكن مستحيل اصنع نهضة "

حسام:

" البداية بالإنسان هي الأصعب والمحتاجة وقت أطول فبابها ما مطروق كتير الناس للأسف دايرة حاجة اسرع مرات اضطرارا ومرات اختيارا "

مها:

"السرعة ما بتعالج المشكلة بتدفن نتيجة المشكلة"

صمت خفيف ساد الغرفة... لكنّه لم يكن صمت فراغ، بل صمت وعي.

كل فرد فيهم كان يعيد ترتيب دوافعه، كأن الحديث حرّك في داخله سؤالًا قديمًا...

"هل أنا فعلا أتصرف كمستخلف؟ كمسوؤل كمؤتمن؟ وهل أعيش كمن يؤمن بذلك؟

بعد لقاء د. سامي، خرج الفريق إلى الشارع.

الجو هادئ، والرصيف مزدحم ببعض الشباب والشابات. الفريق يمشي بخطى بطيئة صامتون تماما ، كل منهم يفكر في الخطوات القادمة لمبادرتهم.

فجأة، يطلق أحد الشباب جملة بصوت مرتفع:

– "شايفين الجماعة؟ شكلهم طالعين من محاضرة تحفيز بعنوان... التغيير جاااي!"

ضحكات من البقية.

بنت قالت بسخرية:

– " دايرين يغيّروا العالم بالمواعظ؟ انتوا خرفتوا رسمي"

حسام التفت، لكنه لم يقل شيءاً.

فارس قال بهدوء للفريق:

– "عادي... أول ما تبدا تفكر تمشي عكس التيار، الناس بتضحك."

أحمد أضاف وهو يمشي:

– "ما بلومهم. ممكن يكونوا تعبوا من الوعود الكتيرة... أو من ناس بدت ووقفت."

رفيدة ردّت دون أن تتوقف:

– "لكن نحنا لسه ما وعدنا بشي... نحنا بس بدينا نسأل: شنو ممكن نعمل؟"

أحد الشباب صرخ من بعيد:

– "طيب ورونا... حتعملوا شنو غير كلام في المكتبات؟"

إحسان وقفت للحظة وقالت بابتسامة خفيفة:

– "أول شي، نبدأ نسمع... وده بالضبط اللي بنعمله."

البنت سكتت، وبصوت أقل سخرية سألت:
– "يعني... لو في زول عنده فكرة، بتسمعوا ليه؟"

شهد أومأت:
– "أكيد. ما في تغيير حقيقي بدون الناس... كل الناس."

واحدة من الشابات همست لزميلتها:
– "والله يمكن نسمعهم مرة..."

الفريق واصل مشيه.
ما كان نصر، لكنه ما كان هزيمة.
كان احتكاكأول... بسيط، لكنه حقيقي.

.٣

جيل عرفات

المكتبة الكبرى—ذلك المكان الهادئ في قلب المدينة، حيث رائحة الكتب القديمة تعانق عبق الفكر. اجتمعوا على الطاولة الطويلة، دفاترهم مفتوحة، والأنظار تترقب لحظة الانطلاق الحقيقية، خميس الإجتماعات كما يحلوا لهم ان يسموه، جلسة رسمية بحضور د. سامي في مقر الفريق .

رفيدة بدأت الحديث، ونبرتها هذه المرة لم تكن فقط حالمة، بل واثقة:

"الليلة عايزين نختار المعنى اللي حيحملو الفريق، ويكون هو البوصلة في طريقنا."

أحمد، وهو يتأمل السقف الخشبي بتأمل صامت، قال:

"أنا شايف إننا نسمي المرحلة الجاية: *جيل عرفات*."

نظر إليه الجميع باستغراب بسيط، ثم قال يامن:

"ليه عرفات؟"

ابتسم أحمد وقال:

"لأنو في عرفة، ما في قمة تتسابق فيها الناس. الكل واقف، الكل متساوي في واجب الوقوف... ما في أحد أعلى من أحد. الوقفة هناك ما فيها استعراض، بس فيها

صدق. فيها إنك تعترف، تقيف، تواجه، تبدا من جديد،هناك بيظهر معنى السباق الحقيقي وهو السباق مع نفسك تكون نسخة افضل واول خطوة تعترف بخطأك تستغفر لتبدء من جديد"

سادت لحظة صمت... كأن المعنى نزل على الجميع دفعة واحدة.

د. سامي بابتسامة هادئة:

"عرفات مكان للحقيقة، والإنسان هناك يواجه ذاته بكل أمانة. زي ما قلتوا، ما في فرق بين الناس، الكل مستخلف ومسؤول. الوقفة تذكرنا إن كل واحد منا مكلف في هذه الحياة، ما جاء عبثاً، ولا ليعيش بلا هدف. الفريق دا ما بس جيل جديد، دا عهد جديدمع النفس والواقع، نختار فيه نكون مستخلفين مسؤولين."

فارس وهو يعقد يديه على الطاولة بثقة:

"يعني نحن ما بس عايزين نكون جزء من جيل بيقف... لأ، نحن عايزين جيل واقف وواعٍ، عارف إن كل شخص وكل عمل ليه قيمة.لانه ما شرط في عرفة تكون أعلى الجبل المهم تكون جزء من المشهد وجيل عرفات دائما جاهز يصلح أخطائه ويواجهها مهما كانت الظروف لو هو حقيقي عنده رغبة يتقدم"

د. سامي، متأثرًا:

"بالضبط، جيل عرفات ما مجرد كلام أو وعود، هو جيل بيبدأ الإصلاح من الصدق مع النفس، من اللحظة اللي بيقرر فيها الإنسان يواجه الحقيقة، يوقف، يعيد حساباته، ويبدأ يتعامل بجدية مع نفسه ومع مجتمعه."

شهد، وهي تكتب ملاحظاتها بحماس:

"دا الجيل اللي بنحلم بيه... جيل ما بس حاضر، لكن بيقول بصوت عالي: أنا هنا ما أتهرب من مسؤوليتي."

مها بتأمل:

"فعلا ودا بيدي ايمان بالعمل وبأنه ما بيروح هدر، حتى لو النتيجة ما جات فورًا، هو اللي بيدفعك تواصل وتقف رغم التعب."

رفيدة، بنظرة تحمل الحماس والرهبة معًا:

"نحن ما جايين نكون مثاليين نحن بشر ، لكن لازمنا دائما وقفة صادقة. نبدأ من المكتبة، من المدرسة، من الحي. وكل مرة نقيف، زي وقفة عرفات بكل تفاصيلها."

إحسان:

"نفسنا دايمًا عندها هدف ثابت قدامها، حتى لو بالإمكانيات القليلة، ما بتسلم للعجز."

اتفقوا على الاسم: *جيل عرفات*.

ليس مجردشعار، بل مشروع طويل النفس، نزرع فيه القيم بالصبر والثبات، وليس بالصوت العالي.

فجأة، يُفتح باب القاعة، يدخل *شاب نحيل يحمل دفاتراً*، عيناه تلمعان بتحدٍ لكنه متردد.

تبادل الفريق النظرات، لا يعرفونه.

يامن سأله بهدوء وابتسامة :

– "اتفضل، ممكن نساعدك؟"

شاكر دخل بخطى بطيئة، عيناهتتحركان بين الوجوه، ثم قال بنبرةفيها تعب وشيء من التحدي:

– "أنا اسمي شاكر. كنت واقف برا... سمعت كلامكم عن التغيير، عن جيل عرفات... بس عندي سؤال بسيط:

هل نظرة عرفاتممكن تتطبق مع مجتمعات تتبنى التنمر، التنمر فيها موضة وتكسير اجنحة الغير هواية ؟"

ساد صمت.

في العيون كان يلمع الاصرار وشي من الحزن .....

شاكر تابع وهو يشير بإصبعه إلى الخارج:

– "أنا كنت هناك... في الشارع. بين الناس البتضحك عليك لو قلت عندك حلم، البتسخر منك لما تقول عايز تعمل فرق. أنتو هنا قاعدين في مكتبة مرتبة... لكن وراء الباب الحياة قاسية."

فارس بإبتسامة باهتة، وقال:

– "وعشان كده نحنا هنا. ما جينا نهرب من الواقع... جينا نتجهز ليه، نحن أولاد نفس الشوارع، بس قررنا نرجع ليها بشكل جديد... نافعين."

شاكر صمت لثوانٍ، ثم أخرج من جيبه ورقة قديمة مهترئة، فردّها بهدوء وقال:

– "أنا عندي قصة... لو في زول فيكم فعلاً حاب يسمع."

رفيدة تبادلت النظرات مع البقية، ثم ابتسمت بهدوء:

– "نحن كلنا جاهزين نسمعك."

شاكر بدأ يقرأ بصوت مبحوح:

> "إلى شاكر، الممكن ينسى نفسه في زحمة الهموم...

>

> لو قاعد تقرأ الكلام دا، معناها لسه باقي فيك شيء حي.

> ما كنت ضايع، بس كنت وحيد.

> ما كنت ضعيف، بس التعب عماك عن قوتك.

> ما كنت سيئ، بس صوتك ما لقى فرصة يطلع.

انت حاولت تتغير... بس مافي زول مسك إيدك في اللحظة الصعبة."

ثم رفع عينيه وقال:

– "أنا كتبت الورقة دي قبل سنتين، لما كنت على وشك أستسلم.

لكن في لحظة، قررت ما أضيع.

والليلة... لما سمعتكم، حسّيت إنو يمكن لقيت مكاني."

ساد صمت عميق... لكنه لم يكن صمت شك، بل صمت احترام.

احمد همس:

– 'أهلاً بيك... يا شاكر. أنت ما جيت صدفة."

٤.

الإنسان يولد من جديد

في الطابق الثاني من المكتبة الكبرى،

حيث الضوء يتسلل بخفة عبرالنوافذ العالية، ويلامس الرفوف المليئة بالكتب،

كان الفريق على حاله جالساً حول الطاولة الخشبية العتيقة...

و*شاكر* كان هناك، بين الوجوه، يضغط على ورقته كأنها آخر خيط كان يربطه بالأمل .

نظر إليهم جميعًا، ثم قال بصوت منخفض، لكن يحمل نبرة صدق لا تُخطئ:

– "أنا ما جِيت أحكي قصة حزينة، ولا أفتح دفتر وجع.

جيت عشان أقول إن في أمل... بس، الأمل ده مرهق."

توقف لحظة وكأن الكلمات تخونه... ثم تابع:

– "مرهق... لأن دايمًا بيقاتل في أرض ما فيها ترحيب.

في مجتمع أول ردّ فعله للشي المختلف... هو السخرية.

تكون بتحاول تقوم، يضحكوا عليك... تقول داير تتغير، يسألوك: (إنت منو؟)."

عينيه تحرّكت على الوجوه، واحدة تلو الأخرى، وكأنه يحاول ان يقنعهم ويقنع نفسه:

– "أنا ما جيت أقول ليكم (كفاية)،

أنا جيت أقول ليكم (خلو بالكم)...

في آلاف قاعدين في الزوايا... ما مستسلمين، لكن تعبانين.

وللأسف، أول يد تطفئ نورهم ... بتكون أقرب يد ليهم، كان ممكن يكونوا سبب في حياة أفضل لكن انطفوا بدري كان ممكن يراعوا أمانتهم كبشر لكن الواقع كان اقسى ."

ثم نظر لورقته، كأنها تذكره بشيء، وقال:

– "أنا عن نفسي ما فقدت الأمل...

لكن الأمل أحيانًا بيكون تقيل...

كل خطوة كانت فيها حرب.

أول حرب كانت مع نفسي... والتانية؟ مع الناس ."

توقف، تنفس بعمق، ثم قال بنبرةأثقل... لكنها مضيئة:
"السؤال البقعد معاي طول الوقت هو:
*لو نحنا ما مددنا النور... منو حيمدەليهم ؟
ولو كل زول تعب... منو حيضوّي الطريق لغيره؟*"

ساد صمت عميق...
كأن الكلمات علّقت في الهواء، ورفضت تذوب.
حتى العصافير خلف النوافذ توقفت للحظة، كأنها تصغي.

كانت لحظة مليئة بشيء لا يُقال... فقط يُحس.

سكت *شاكر* قليلًا، ثم رفع نظره وقال بصوتٍ مائل للهدوء، لكنه كان يحمل داخله زخمًا كبيرًا:

**"كبرت في بيت مليان صراخ... ما كان في حنان.
بس أوامر، نقد، وتجاهل.

في المدرسة؟ ما كنت الأذكى، ولا الأسرع... فبقيت ببساطة: *الفاشل*.

وفي الشارع؟ كنت العابر اللي ما عندهأي قيمة.

لكن... جواي، كان في صوت صغير بيقاوم، بيقول لي: *(إنت ما جاهل... نفسك بتعرفها، ما تصدق غيرها).*"**

تنهد، كأنّه يعيد مشاهدة تلك السنوات أمام عينيه، ثم واصل:

**"ما كنت سيء... كنت تايه.

كان في دفعة قوية حولي دايمًا: *إنت فاشل، ما تتعب، ما حتوصل.*

فصنعت طوق نجاة... ورقة زي دي، كنت أكتب فيها كل مرة خذلتني فيها الحياة... وكل مرة قاومت."**

رفع الورقة ببطء وهو يبتسم بسخرية خفيفة:

**"ضحكوا عليّ؟ كتار.

لكن زي ما قلت ليكم... بيحاربوا النور."**

ثم نظر للفريق بعين لامعة بثقة:

**"لكن الحمد لله، قدرت أكون نافع.

ساعدتشباب كتير كانوا بيسمعوا نفس السخريات...

من أهلهم... ومن نفسهم."**

صمت لحظة، ثم قال بابتسامة مكسورة:

**"أنا لما كنت صغير، علاماتي ما كانت كبيرة.

لكن كنت بحب التركيب والبناء... أقدر أصمم مباني في خيالي بشكل عجيب.

ما كنت عارف وقتها كيف بعمل دا... كانت موهبة. بس للأسف، أهملت.

ليه؟ لأني ببساطة... *فاشل* – حسب كلامهم."**

رفع عينيه نحو السقف، كأنه ينظر لمبانيه اللي ما شافها حد، وقال بمرارة ممزوجة بالامتنان:

**"الآن... بدرس هندسة.

بعد معارك طويلة... صبر، دموع، تجريح، وعناد.

وفي شباب أعرفهم... للأسف ما قدروا يصمدوا."**

ثم التفت للفريق، ونبرته اكتسبت قوة:

**"أنا قررت أكون أول يد بتمتد ليهم.

وقررت بعد حديثكم دا، ما أساعد *المجتهدين* بس...

حتى الساخرين، لأنهم غالبًا موجوعين... ومش شايفين.

كلامكم وصلّ لي انه ظروفي الأحسن من بعد الشباب مسؤولية ما حاجة عابرة وخلاص او هدنة وسط الرحلة بل تفضيل بيخلي مسؤوليتي أكبر ."**

أضاف مازحا:

" على قولكم كلما ملكت أدوات اكتر واجبك كان أكبر "

وساد صمت.

لكن هذه المرة، لم يكن الصمت ثقيلًا

كان احترامًا،وإعلانًا داخليًا لدى كل فرد في الفريق:

الرسالة ما عادت مجرد فكرة... أصبحت حياة.

تلك اللحظات

كان أشبه بما يسبق لحظة الصدق... عندما يتلاقى الجرح والاعتراف.

شاكر أنهى حديثه، ووضع الورقة على الطاولة.

كانت عيناه ثابتتين، لكن فيها شيء يشبه التعب القديم.

إحسان رفعت نظرها إليه، بصوت خافت لكنه نابع من الداخل:

– "ليه؟... ليه اخترت تقاوم؟"

شاكر ابتسم ابتسامة صغيرة، وقال وكأنه يسترجع صوتًا قديمًا:

– "مرة سمعت واحد في الشارع قال: *(الضلمة ما بتقدر تطفيك... لو كنت إنت النار).*

الكلمة دي علّقت جواي.

فكّرت... يمكن أنا ما نور كبير، لكن لو كنت شرارة؟ يمكن أبدأ حاجة. حتى لو بسيطة."

رفيدة شعرت بقلبها يتقلّب، وقالت بهدوء:

– "عارف... دا بالضبط جوهر دعوتنا. ما بنحاول نكون المنقذين... نحاول نكون البدايات. الجملة الواحدة أحيانًا بتمنع شخص من الإنهيار."

حسام اتكأ على الكرسي وابتسم:

– "أهلاً بيك يا شاكر... ما ضيف، ولا متفرّج. إنت بين أهلك."

فارس رفع عينيه وقال بصوت حاسم:

– "في ناس كتار زيك... ضاعوا في زحمة مجتمع ما بيسمع، لكنك وصلت. وجودك معانا ما صدفة. مشروعنا ما شعارات... مشروع بناء من الصفر."

يامن ضحك وقال بخفة ظل:

– "والله دا إنت قلت (ما حأطوّل) وجبت الكلامالصاح كلو!"

ضحكوا بخفة، لكن *يامن* عاد بنبرةأعمق:

– "شاكر... المجتمع فعلاً محتاج ناس توقظ فيه المعنى. الحياة ما بس نحياها وخلاص ... الحياة مسؤولية. واللي عنده موهبة أو وعي، ما من حقه يكتمه."

أحمد أومأ وقال:

– "المعاني الكبيرة ما بتتوجدفي فوضى اليوم لازم نفتش عنها ... لازم نختار نكون صوت مختلف وسط الضجيج. وأنت اخترت."

شهد تنهدتوقالت بهدوء:

– "المجتمعات دايمًا بتتكاتف وقت المصايب، لكن تتجاهل وقت الفكر. ما في مساحة للحوار... ولا للسؤال."

شاكر نظر إليها وقال بحزن خفيف:

– "لأنهم تعبانين... أمهات بيحسبوا سعر الرغيف، وآباء بيسابقوا الوقت عشان يجيبوا حق الدوا. مافي وقت للحلم."

مها أغلقت دفترها وقالت بثقة هادئة:

– "المجتمع مش سيئ... لكنه منهك. نحنا ما ضده، نحنا معاه. بس لو قدرنا نوفر مساحة آمنة، ودعم حقيقي، بنخلق فرق."

وصمتوا...

لكن هذه المرة، لم يكن الصمت ثِقلاً ...

كان اتفاقًا غير معلن:

الرحلة بدأت فعلاً ... و"شاكر" ما كان آخر من ينتظر.

إحسان نظرت إلى الجميع وقالت:

" ممكن نبدأ بالأطفال. هم الأساس. الكسر في الأطفال للأسف أصعب والمجتمع محتاج أطفال بدون ندوب وكسور، نحن نحاول نمد يدنا لمليون شاكر جديد ممكن نبدأ بالمدارس مثلا ."

د. سامي:

"تمام جدا أنا انسق لكم مع الإدارة وانتوا جهزوا نفسكم كويس والادؤات الضرورية حتصلكم في وقت قريب بالتنسيق مع جهات تدعم الشباب "

أحمد أضاف بابتسامة:

"أنا شغال على تصميم أول مكتبة ميدانية للأطفال. تكون معنا في كل زيارة. والقصص ما حتكون بس للترفيه... بل للوعي بطريق تحبب الأطفال في الكتب."

مها اقترحت أن يترافق العمل مع برنامج نفسي حقيقي، يراعى فيه تنوّع الخلفيات الاجتماعية للأطفال.

يامن بحماس :

"حاتواصل مع اصحابي نعمل للاطفال زيارات لمراكز دفاع مدني،لحديقة حيوان دواجن، مدينة العاب ودا في شكل جائز لأكثر فصل منضبط"

*فارس*باصرار:

"بالرياضة بإذن الله حنمحي ملامح التنمر والاخلاق السيئة وندمج الأطفال يكونوا يد واحدة من الصغر "

حسام بابتسامة واثقة:

"حنخلي الوثائقيات تصل، نوثق التغيير ونثبت ان ممكن إيمان عميق برسالة الفريق يغيير أمة "

عندها قال *د. سامي*:

"أنا تواصلت مع صديقي الدكتور عارف، مختص اجتماعي ونفسي، وعنده خبرة طويلة في التعامل مع الأطفال... وجاي يشوفكم الآن."

بعد لحظات دخل د. عارف، رجل خمسيني بملامح تجمع بين الحزم والدفء، وجلس بينهم. بعد مقدمة قصيرة، قال:

"لو عاوزين تشتغلوا مع الأطفال، لازم تفهموا إنو الطفل ما بيشيل غلطه، بيشيل غلط أهله، بيشيل صراعات البيت، بيشيل الكلمة القاسية والنظرة اللامبالية والمتجاهلة."

ثم أضاف بنبرة واثقة:

"أنا معاكم في أول زيارة. اسمع لكل طفل، وأسجل الملاحظات، وأعطيكم خطة واقعية. بس عليكم تصبروا... لأن التغييرـدايمًا بطيء."

***

خرج الجميع من المكتبة وأعينهم فيها بريق مختلف. لم تكن الخطوة كبيرة، لكنها كانت حقيقية.

خرج الفريق من المكتبة أكثر تماسُكًا من أي وقتٍ مضى. لم يكن أحدهم كما كان حين دخل. حتى رفيدة، حين التفتت إلى الخلف لتودّع المكتبة بنظرة، شعرت وكأنهم يتركون خلفهم ظلًا من الشك... ويسيرون نحو يقين يتشكل خطوة خطوة كل منهم يعد عدته.

شاكر، وهو يمشي بجوار أحمد، قال بهدوء:

"أنا ما كنت أحلم أنضم لحاجة زي دي. لكن سبحان الله... النور بيختار وقتو."

*أ حمد * مبتسماً ويديه على جيوبه:

"وإنت كنت منتظر النور... ونحن كنا محتاجينـشرارة."

***

وهكذا، كانت هذه اللحظة، بداية حقيقية لولادة شيء مختلف.

لأن الصمت حين يُنطق... يُشعل.

قصة شاكر لم تكن ألمًا فقط، بل عودة للمعنى.

نشأ في بيئة قاسية، محاطًا بأصوات التهميش، لكنه تمسّك بصوت داخلي يقول له: "أنت لست عبثًا."

ورقته لنفسه كانت وعدًا بأن النهوض ممكن، لأن الإنسان خليفة، حتى في أشد لحظات ضعفه.

شاكر لم يكتف بالنجاة... قرر أن يكون نورًا لغيره.

موهبته، ألمه، وكل ما مر به، تحوّل إلى رسالة: أن الإنسان خُلق ليُعمّر، لا ليُقصى.

.٥

وان سعيه سوف يُرى

شهر واسبوعان من الاعداد للنزول للميدان، اختبارات للبرامج،تطوير للأنشطة خليه النحل لا تهدأ.

في أحد اجتماعات الفريق، الطاولة مليئة بالدفاتر والملاحظات ومجموعة أفكار معلّقة على الحائط. الحماس كان عاليًا، لكن التوتر بدأ يتسلل.

أحمد كان مصرًّا على تنفيذكل جزئية في خطة الزيارة كما هي، بإحكام شديد:

"أي خلل بسيط في الجدول، ممكن يفقد الأطفال تركيزهم... ما في وقت نضيّعوا."

إحسان ردت وهي تحاول تخفف التوتر:

"بس أحمد، نحنا ما داخلين معسكر تدريب... دا فضاء إنساني. الطفل محتاج يحس بحرية عشان يثق."

التوتر زاد، فارس بدأ يتضايق، ورفيدة بدت متحفّظة، أما يامن فكان يحاول تلطيف الجو بنكات لم تجد مكانها هذه المرة.

فجأة *حسام* رفع صوته بهدوء جاد:

"كلكم نسيتوا ليه بدأنا دا من الأساس؟ كلكم جايين من وجع مختلف، وكل واحد شايف الأطفال من زاوية خاصة... بس الحقيقة؟ هم ما مشاريع نثبت فيها إننا صح، هم بشر. وغايتنا نوقف في الضلمة عشان نكون نور."

شاكر أضاف بصوته الهادئ اللي دايمًا يخرج من عمق التجربة:

"أنا كنت يوم في مكانهم... وصدقوني، لا الخطة المحكمة كانت تهم، ولا الأسلوب العفوي. كل البفرق إنو الزول

القدّامي شايفني، وعايز لي الخير فعلاًويسمعني ويدعمني ."

يامن أخيرًا قال بابتسامة بسيطة:

"المشكلة ما في اختلافاتنا... المشكلة لما ننسى الهدف. خلونا نختلف على الطريقة، بس نتفق على الرسالة."

**ساد الصمت... لكن كان صمت ناضج.

هز أحمد رأسه وقال:

"أظن دا أول انتصار حقيقي... إننا نعرف نرجع للنية الأولى."

ضحك يامن وقال:

"أخيرًا اتفقنا قبل ما نتخانق أكتر!"**

**ومن ذاك اليوم، كتبوا أول قاعدةلفريقهم:

"نحن لا نبحث عن الكمال، بل عن الأثر.

ولا نعمل لنثبت أنفسنا... بل لنرفع غيرنا."**

_____

في صباح السبت، ساحة مدرسة "الإشراق"، بدت الشمس أكثر رقة، كأنها تراقب بخجل هذا الجمع الصغير المليء بالحياة.

كان اليوم مختلفًا، ليس فقط بالنسبة للأطفال... بل للفريق بأكمله، ركب الفريق الحافلة وهي تقطع المساحات الخضراء، متحمسين متوترين وآملين، برفقة الخالة حنان التى تعد لهم اللحم المبهر اللذيذ بالخبز والجبن .

في المدرسة أتى الأطفال بملابسهم الزاهية فرحين بهذا اليوم، الذي حول ساحة المدرسة إلى ساحة المرح واللعبِ

بدأت الأنشطة وطار الأطفال نحوها وكأنهم فراشات خفيفة يداعبها النسيمِ

أحمد وأحسان*حولوا الابداع والابتكار والبناء بأسلوب قصصي واستخدام الألعاب

إحسان(بحماس)

"لنعب لعبة جديدةالذي يرى والذي لا يرى او سموها لعبة المهتدي والضال"

رد طفل (باستغراب)

" يعني شنو اللعبة دي"

أحمد (بهدوء)

" يعني الشخص البشوف قدامه وعارف هو متجه وين، وشايف

هدفه والشخص الما عارف اتجاه ولا هدفه "واضاف

"نلعبها اول مع الكبار "

"ومع اشتداد الحماس في ساحة الأنشطة، تذكر أحمد أن الوقت قد حان لجذب المزيد من الفريق إلى قلب التفاعل..."

ذهب أحمد لبنادي كل من يامن ورفيدة الذان يساعدان الخالة حنان في اعداد الطعام

أحمد للخالة حنان(بادب):

"ممكن ناخد مساعدينك ضروري "

الخالة حنان(وهي تبتسم)

" اكيد يا ولدي نحن خلصنا "

يامن

" ما تقدروا تتخلوا عننا "

أحمد (ضربه بخفة على قفاه) :

" قدامي ياولد"

امام الاطفال

تم اغمض عيني،رفيدة بقطعة قماش

وتم اعداد خطين واحد لرفيدة والأخرى ليامن

كان يامن يرى أمامه لانه ليس مغمض كرفيدة لم يتعثر بالاحجار او يصطدم بالشجرة او يخرج من الخط ووصل الى خط النهاية وحصل على الجائزة

رفيدة كانت عكس،يامن تصطدم وتتعثر وخرجت من المسار في النهاية.

هذا وسط اندهاش الطلاب وهم يبحلقون بتركيز شديد

إحسان (وهي تجذبـانتباه الطلاب لتشرح لهم)

"من فيهم الافضل رفيدة أو يامن؟ "

اجاب الاطفال(بصوت واحد)

"يامن "

فواصلت"كل واحد فينا حياته عبارة عن مسار لازم تكون بتشوف الصاح من الغلط الجهل زي قطعة القماش ما بخليك تشوف ، فلازم تبعد القماش من عينك بانك تتعلم وتفهم وتحب الكتب بعد تشوف وتقدر تعمل الصاح في النهاية حتفوز،شكلكم كدة دايرين تفوزوا وعشان تفوزوا لازم تتعلموا، بعد كدة حتحبوا الكتب عشان ما تكونو مغمضين ا ؟ "

صاح الاطفال

"بنحبها"

انصرف كل من رفيدةويامن إلى الأنشطة واحمد واحسان يبليان حسنا

*حسام*بضحك:

"يامن دورك في التصوير يا صاحبي ، دا وقت لعبي انا"

*يامن *بضحك:

حساام أيها الطفل الكبير

اعطاه الكميرا وركض مبتعدا نحو فارس شاركهم النشاطات وبعد أن تعبوا وجلسوا على الأرض، كانت المفاجأة انشد حسام بصوت جميل لحن للاطفال نشيد ابو القاسم الشابي الذي يتحدث عن الطفولة.

الجولة بدأت بنشاط الرسم التعبيري، حيث جلست *مها* و*شهد* مع الأطفال في فناء واسع، وقدّموا لهم أوراقًا وألوانًا:

> "ارسم الحلم الجواك... ارسم الزول البطل في حياتك، أرسم العالم حوليك."

واكتشف الفريق من خلال الرسومات صراعات دفينة: طفل رسم بيتًا مكسورًا، وآخر رسم قلبًا ينزف، المفاجأة أحدهم رسم حسام بكميرته.

قالت *مها* بعد تأمل:

"الرسم ده مش بس ألوان... ده أبواب بتتفتح لما الطفل ما يعرف يتكلم."

في الركن المجاور، كانت رفيدة تدير نشاطًا تمثيليًا بعنوان "أنا ومشكلتي":

الأطفال اختاروا أدوارهم... أحدهم مثّل دور "الولد المتنمر"، وآخر "الطفل الضعيف"، وبدأوا يعرضون المشهد.

> *د. عارف* عقب بعد المشهد:

"التمثيل بيساعد الطفل يشوف نفسه من برا... يواجهها... ويبدأ يتخيّل حل."

شاكر قام بتوزيع "بطاقات الأمان"، كل طفل يكتب شيئًا يشعره بالخوف، ويضعه في صندوق، دون اسم.

عند القراءة، انكشف الخوف من الظلام، من الصراخ، من الضرب، ومن الشعور بعدم الفائدة.

قال *شاكر*: *"أنا ذاتي كنت بكتب الكلام ده زمان... الفرق إن اليوم، في حد بيقرأموبيقول ليك: (أنا معاك)."*

اللعبة التي حررت الأرواح

قرب نهاية اليوم، اقترح *فارس* لعبة جماعية مرحة باسم *"حبل الأمل"*:

يتعاون الجميع، صغارًا وكبارًا، لعبور مسار الامل، المسار طويل ومليئ بالمطبات والحواجز، القاعدة ان يعبروا جميعاً الحواجز معا.

كل عشرة في فريق، كلما نجح فريق، سُجّل اسمه على لوحة "أبطال التعاون".

ضحكات، حماس، سقوط، نهوض، ثم تشجيع...

أحمد كاد يقع، لكن الأطفال أمسكوا بيده وصاح أحدهم:

"نحنا ما بنخلي زول يقع !"

وسط الضحكات والركض، تسلل إلى ذاكرة فارس صوت ضحكة قديمة.....

***

كان عمرهتسع سنوات، كان يركض في الحوش الطيني الصغير، يلهث من الفرح لا التعب .

خاله طلال، بضحكته العريضة وصوته الدافئ، كان يلاحقه بخشبة صغيرة يصنع منها "سيف الفرسان".

قال له ذات مساء، بعد أن تعب من اللعب وجلسا سويًا على السجادة المهترئة:

– «يا فارس... تبقى فارس بحق؟»

– «أكيد!»

– «الفارس الحقيقي... ما بيظلم، وما بيغضب لنفسه. بيدافع عن الضعيف، حتى لو كان وحده.»

ثم أعطاه السيف الخشبي وقال:

– «أوصيك... ساعد الناس. لو الدنيا كلها اتغيرت،أنت خليك ثابت. الخير ما بيضيع، حتى لو شافه الناس ضعاف.»

***

مرت السنون، رحل خاله في حادث مفاجئ، لكن صوته ظل حيًّا في ذاكرته.

والآن، وهو وسط هذا الفريق، ومع هؤلاء الأطفال، شعر أن تلك الوصية لم تكن مجرد كلمات... بل كانت نبوءة.

فارس مسح على عينيه بصمت، ثم عاد للعب .

قال بهدوء، وهو ينظر للأطفال من بعيد:

– «أنا ما جيت هنا صدفة.»

نظر له *أحمد* باستغراب، فسكت *فارس*، ثم ابتسم وقال:

– «في ناس زرعوا فينا نور... وحان وقت حصاده.»

_____

د. عارف علّق وهو يراقب اللعبة من بعيد:

"اللعبة دي بسيطة... لكنها بتعلّمهم إنو النجاح ما بيجي من القوة، بل من الدعم."

ختام اليوم... وبداية أكبر

في آخر اليوم، جمع الفريق الأطفال تحت ظل شجرة كبيرة.

قدّموا لهم هدايا صغيرة،كراسات، ألوانًا، و"كلمات طيبة" في ظرف يحمل كل اسم.

شهد قالت:

"الطفل البشعر إنو في زول شايفه... بيتغير."

رفيدة أضافت وهي تنظر لهم واحدًا واحدًا:

"ما في شي بيغير المجتمعات قد ما بيغيرها شعور الطفل بنفسه."

في الاجتماع الاسبوعي بعد تلك الزيارة بينما الفريق يناقش خطط جديدة للزيارة القادمة

جلسوا على الأرض، أكواب الشاي بالنعناع تدور بينهم، والتعب بادٍ على الوجوه... لكن الأرواح متوثبة.

د. سامي بدأ الحديث:

"ما حدث الاسبوع الفات في المدرسة ليس نشاطًا عابرًا، بل دليل... دليل إنو أي مكان، حتى لو بسيط، ممكن يتحوّل لنقطة بداية بالعزيمة والإيمان . لازم نستثمر اللحظة."

فارس، ووجهه ما زال مشرقًا من اللعب مع الأطفال، قال:

"عيونهم كانت بتلمع. نحنا ما بس حركنا عضلاتهم... حرّكنا فيهم الإحساس بإن الحياة ممكن تكون مختلفة."

شهد أومأت:

"أنا حسيت إنهم محتاجين يسمعوا إن أحلامهم مش مستحيلة. وحتى التجارب العلمية البسيطة خلتهم ينبهروا بالعالم حوالينهم."

مها أضافت:

"طيب ليه ما نعمل سلسلة زيارات؟ نختار مدارس في مناطق تانية، وننقل التجربة."

أحمد:

"ومش بس كده... نخلي الأطفال نفسهم يصنعوا التغيير. نعلمهم كيف يكونوا رسل نور في أسرهم، في أحيائهم."

مها، بحماس:

"نعم! نجهّز ورش تدريبية قصيرة، بأسلوب ممتع وسهل. خليهم هما ينقلوا الرسالة، مش نحنا بس."

رفيدة كانت صامتة قليلًا، تفكر... ثم قالت بهدوء عميق:

"أظننا وصلنا لمرحلة لازم نؤمن فيها إنو التغيير مش مشروع موسمي... دي رؤية حياة. لما نعلّم طفل إن الله خالق وهو قادر، وإنو هو ما مخلوق عبث... نحنا ما بنعلّمو معلومة، نحنا بنغيّر مسار

وفجأة... طُرِق الباب.

قام *د. سامي* وفتح الباب، فدخل ثلاثة رجال وامرأتان، تبدو عليهم الجدية والقلق.

ابتسمت *مها* مرحبة:

"أهلاً وسهلاً، تفضلوا."

رنَّ هاتف د. سامي فجأة، استلمه بسرعة وقال بقلق:

"عذروني، عندي أمر طارئ."

ثم استأذن وخرج مسرعًا.

قال أحد الرجال بحزم:

"نحن أولياء أمور لأطفال شاركوا في نشاطاتكم."

همس *يامن* لنفسه:

"شكلهم جايين يشكرونا ويقدموا يد العون..."

لكن المفاجأة جاءت من المرأة، بنبرة حادة وقلق واضح:

"أنتم بتعلّموا أولادنا أفكار غريبة! بنتي رجعت تقول لجدها إن الله خلقها لمهمة خاصة، وإنها ما تسمع لأي صوت يقلل منها... من وين جابت الكلام دا؟!"

رجل آخر أضاف بغضب متزايد:

"وأنا ولدي قال لي إن الحياة ما فيها عجز، وإنه لازم أبدأ أغيّر نفسي... شنو دا؟ دا تعليم ولا تمرد على أهلنا؟"

ساد الصمت الغرفة.

رفيدة تنفست بعمق، وردت بثقة وهدوء:

"نعم، قلنا لهم كدا، لأننا مؤمنين إن الإنسان ما مخلوق عبث... والله أعطى كل واحد عقل وإرادة. الهدف من الحياة ما بس الأكل والشرب، بل العمل والإعمار."

أحمد تكلم بنبرة مهدئة:

"نحن ما بنزرع أفكار تخريبية، إحنا بنحيي قيمة غائبة. لما طفلك يقول 'أنا مهم'، ما عيب، دا نور دخل قلبه."

حسام أضاف بحزم:

"الحياة اليوم محتاجة أمل، مش خوف. بنحاول نعيد للأطفال ثقتهم بنفسهم، علشان يكونوا أملنا الجاي."

جلس *أحد الآباء* بهدوء، كأنه يفكر بعمق قبل أن يتكلم:

"يعني... أنتو شايفين إنو أولادنا فعلاً ممكن يغيروا؟"

أجاب *فارس* بثقة:

"مش بس نغيرهم، لكن نعلّمهم يكونوا أدوات تغيير. وأنتم مش خصوم، أنتم شركاء."

فجأة، ضرب *أحد الرجال* الطاولة بعنف:

"وانتوا مالكم؟ ما تتدخلوا في شؤوننا!"

ارتفع صوت *حسام* بغضب محتبس:

"نحن بنقدم خدمة مجتمعية، وأنشطتنا سلمية وفكرية وما عليها غبار. أنت تعرف طفلك؟ طموحه؟ مواهبه؟ أحلامه؟ نحن هنا لأن الأهالي مشغولين بالتغذية البدنية أكثر من الروحية والعقلية."

انسحب أولياء الأمور، والوجوه مليئة بالغضب، وكأن على رؤوسهم الطير.

تنهد *أحمد* مستاءً:

"يا ريت لو ناقشوا معانا البرنامج كأولياء أمور، بدل الهجوم بدون فهم."

همس *يامن* بسخرية مُرة:

"خربانة من كبرها."

(مثل سوداني يعني المشكلة من البداية مع الأهل).

جلست *رفيدة* متعبة، ترفع يدها لإيقاف النقاش:

"خلاص، نتلاقى الأسبوع الجاي إن شاء الله."

ابتسم *شاكر* بمرارة:

"حذرتكم لكن دي مسؤوليتنا ما بنقدر نتخلى عنها ."

وقف *حسام* بنبرةمختلفة، أكثر ثباتًا:

"تعرفوا قصة سيدنا يونس؟ نحن بنعيشها الآن، ما في مجال للهروب. كلنا محتاجينهدئ، لكن ما في حل إلا نواصل. وإلا، كل الكلام حيبقى مجرد شعارات."

غادر الفريق الغرفة، يعلمون أن الطريق قد يكون صعبًا، لكنه طريق الإيمان والعمل... والوقود الحقيقي هو الإصرار.

أنصرف الفريق وقد علم ان الاتى لن يخلوا من عثرات ومصاعب لكن الايمان وقود القادم .

.٦

المرابطون على الثغور

من بين المعارك تخيّرنا معاركنا

استمر الفريق في زيارته للمدرسة الابتدائية بقرية الشاطئ بانتظام مرة كل أسبوعين.ونظم زيارات أخرى للمدراس في القرى القريبة . وفي كل زيارة العاب وكتب وقصص جديدة، كانوا يجمعون بين الفكر والعلم والمعرفة والمرح، محاولين زرع بذور الأمل في نفوس الأطفال.

توالت الأيام حتى جاء يوم الخميس المشمس، والفريق في طريقه إلى المكتبة الكبرى، مستعدّين لوضع خططهم القادمة.

قابلوا شبابًا من الجامعة، لم يسلموا من السخرية والتهكم:

"شوفوهم، قاعدين يلعبوا، كمان زيارات مدرسية، بدل ما يدرسوا يشوفوا جامعتهم بي وين!"

قال أحدهم ساخراً، بينما ضحكت البنات بنبرة مستهزئة.

لم تعكر الكلمات صفو الفريق، بل زادتهم إصرارًا، خاصة بعد انضمام نسيبة، الفتاة الهادئة الفعالة التي أضافت للحيوية والجدية.

لقطة فلاش باك:

قبل أسابيع...

كان الفريق يُنهي اجتماعًا مرهقًا بعد أول ورشة ميدانية. أصوات الكراسي تُسحب، الأوراق تُجمّع، والعيون مرهقة.

فُتح باب المقهى بخفّة، ودخلت *نسيبة* بخطى مترددة، لكن عينيها كانتا ثابتتين.

وقفت للحظة ثم قالت:

– "أنا نسيبة. سمعت عنكم بعد نجاح زيارتكم لمدرسة ‘الفتح’. لو في فرصة أكون معاكم... حتى لو بس أساعد في الترتيب، أنا جاهزة."

إحسان نظرت إليها بلطف:

– 'أهلاً بيكِ، بس إحنا ما بنطلب ترتيب... بنطلب إيمان."

أجابت *نسيبة* دون تردد:

– "أنا ما جيت أجرّب، أنا جيت أكمل."

ثم أخرجت ملفًا صغيرًا من حقيبتها، فيه نماذج لأنشطة كانت تعمل عليها مع أطفال الأحياء العشوائية.

رفيدة تبادلت نظرة سريعة مع *أحمد* و*فارس*، ثم قالت:

– "الكرسي دا فاضي من أول الاجتماع... شكله كان مستنيك."

*نهاية الفلاش باك

_____

في زيارة إلى مدرسة الأحلام في قرية تقع في الأطراف الشمالية المترامية من المدينة وبينما د. عارف مشغول بمشاريعه البحثية، درس جديد في الانتظار.....

الحرارة خانقة. الكهرباء مقطوعة منذالصباح.

الفناء ضيّق، والأطفال أكثر من المتوقع.

ضجيج، بكاء، اصطدامات متكررة،متطوعون يركضون بلا ترتيب... وكأن اليوم لم يبدأ إلا ليكشف هشاشتهم.

إحسان تحاول تهدئة مجموعة متكدسة حول طاولة واحدة:

– "يا جماعة شوي شوي... الطاولة ما بتشيلكم كلّكم!"

رفيدة تهمس لنسيبة وهي تمسح جبينهابمنديل مبلل:

– "الأطفال كتار جدًا... والمكان خانق."

– "وما في مروحة شغالة... إحنا بنغلي، ما بنشتغل."

في الجهة الأخرى، طفل يسقط على الأرض باكيًا بعد شجار.

أحمد يحمله، لكنه يتفاجأ بأن الطفل يركله بعنف وهو يصرخ:

– "ما حابي اقعد بس! اتركني!"

شهد تتوقف للحظة، تنظر حولها.

كل شيء متداخل. الضوضاء، الحر، الضغط، الأطفال، ضيق المساحة...

تمسح عينيها سريعًا وتهمس لنفسها:

– "دا ما يوم للتعليم... دا اختبار أعصاب."

مع نهاية اليوم، خرجوا واحدًا تلو الآخر... بلا كلمة.

لا ضحكة لا مراجعة لا خطط للمساء.

حتى *يامن*، الذي اعتاد كسر التوتر بالمزاح، مشى بصمت، رأسه منخفض.

في الاجتماع الأسبوعي...

جلسوا حول الطاولة، في نفس الركن المعتاد من المكتبة .

لكن حتى فناجين القهوة كانت متروكة دون أن تُشرب.

التعب ظاهر، الحديث ثقيل.

أحمد قالها بصراحة:

– "أنا حسيت إننا ما كنا مستعدين."

شهد:

– "ولا المكان كان مهيأ ..لا للأطفال ."

مها:

– "أنا رجعت للبيت وأنا حاسة بالذنب."

رفيدة (بصوت واهن):

– "أنا حسيت بالاحباط... مش من الفشل، من نظرة الطفل اللي ما قدرنا نحتويه او حتى نقدمله حاجة."

د. عارف عاد لتوّه، بعد أن سمع ملخّصًا لما جرى. جلس بهدوء، وأشعل مصباحًا صغيرًا على الطاولة.

قال بهدوء حازم:

– "عايزكم تقولوا لي... هل دا أسوأ يوم مرّ عليكم؟"

فارس أومأ:

– "ما حسّيت إنو في شي نفع... الأطفال مشتتين، إحنا مشتتين، والمكان ما بيساعد."

إحسان بصوت مبحوح:

– "حسّيت إني فاشلة... ما عرفت أسيطر ولا أوصل أي فكرة."

د. عارف نظر إليهم جميعًا وقال:

– "طيب... تعرفوا من أول مخلوق واجه فوضى زيكم؟"

سكت الجميع.

– "الإنسان... أول ما نزل الأرض، نزل في عالم ما مرتب، ما نظيف، ما فيه خدمات، لا كهربا، لا نظم... وكان عنده مهمة."

ثم أردف، وهو يضع كفه على الطاولة:

– "أنتم مش قاعدين في مهمة تطوعية... أنتم في اختبار الخلافة، الإنسان مستخلف في الأرض مو وقت الراحة... بل وقت الفوضى. وقت ما ينهار التنظيم، يظهر الإنسان الحقيقي."

أحمد جلس معتدلًا وقال:

– "يعني إحنا ما فشلنا؟"

– "فشلتوا لو حسبتوا الشغل بالأيام الناجحة بس. لكن لو عرفتوا إنو الشغل في أصله مرابطة وصبر وخلق من لا شي... فاليوم دا أهم من كل يوم قبله."

ساد الصمت.

ثم قالت *شهد* بهدوء:

"أنا ما جاية أعلم أطفال بس... أنا جاية أتعلم أكون إنسانة تقدر تبني، حتى لما كل شيء ينهار."

يامن ابتسم أخيرًا وقال:

– "أنا شايف إنو دا أول يوم نلبس فيه الحقيقة كاملة... ما في مكياج، ولا نجاح مصطنع."

د. عارف ختم بنبرةعميقة:

– "الخليفة الحقيقي... ما بيظهر في القصر. بيظهر في الخلاء، تحت الشمس، مع الغبار... ومع الناس البسيطة."

ثم أضاف بابتسامة:

– "اليوم ما كان فوضى... كان كشف."

**وهكذا، بدل أن يكون اليوم هزيمة، صار درسًا في جوهر الرواية:

الإنسان لا يُختبر وقت الراحة فقط... بل يُصنع في الشدّة، لأنه مستخلف.**

اتفق الفريق على خطة:

لن يعودوا فورًا.

بل سيذهب *حسام* و*فارس* أولًا، في زيارة تقييمية، يجلسون مع الإدارة، يقيّمون المساحة، الظروف، عدد الأطفال، ويعودان بتقرير واضح.

د. سامي :

" حأطلب ازودوا التمويل واشوف شروطهم وموفقين "

بعد أيام...

دخل *فارس* و*حسام* إلى مكتب المدير.

كان لقاء هادئًا، لا لوم فيه، فقط مراجعة.

المدير قال بهدوء بعد أن سمعهم:

– "أنتم عملتوا اللي تقدروا عليه... بس فعلاً، يومكم دا ما كان مثالي. الأطفال تعبوا، وأنتم كمان.

لو حابين نعيد المحاولة، أنا معاكم... لكن بالشروط المناسبة."

فارس:

– "نحن ما بنتهربـمن مسؤوليتنا... وراجعنا كل الأخطاء."

حسام:

– "المرة الجاية، نبدأ بعدد أقل... ونقسم الورش على مراحل. ونتأكد من الدعم اللوجستي قبل أي حاجة."

المدير (بابتسامة خفيفة):

– "اتفقنا. بانتظاركم."

حياه الاثنان واتجاها إلى الخارج

أمام بوابة المدرسة، بعد زيارة التقييم

كان *فارس* يراجع بعض الملاحظات في دفتره، بينما *حسام* أغلق باب السيارة وهمّ بالركوب. فجأة، ناداهم صوت شاب من الجهة المقابلة:

– "السلام عليكم! معلش، أنتو من الفريق اللي اشتغل في المدرسة صح؟"

التفت *فارس*، رأى شابًا عشرينيًا، بسيط الهيئة، مرتب، وعلى وجهه حماس .

فارس:

– "وعليكم السلام، نعم. تفضل؟"

– "أنا اسمي *سامر*. بصراحة، أنا ومجموعة شباب كنا نشتغل كمبادرة خيرية نوزّع شنط وأدوات دراسية.

سمعنا من أحد الأساتذة عن شغلكم، شفنا صور الورش... وشدّنا الموضوع جدًا."

حسام (واقفًا بجانبه):

– "جميل! شغالين بنفس المجال تقريبًا."

سامر:

– "لكن فكرتنا كانت دايمًا مادية... أنتو دخلتوا جوّه الطفل.

قلنا ليه ما نحاول ننسّق معاكم ونشتغل سوا؟"

فارس ابتسم، وأشار له أن يقترب.

– "طيب، خليني أشرح لك الفكرةباختصار، ولو لقيت إنكم جاهزين، نضيفكم على مجموعة الفريق."

جلسوا على مقعد حجري أمام المدرسة. فتح حسام جهازه اللوحي، وبدأ يعرض بعض الصور من الورش.

حسام:

– "إحنا نقسم العمل حسب الفئات: أطفال، مراهقين، وأهالٍ.

كل فئة لها ورش مصممة بمستوى مختلف... مش محاضرات، بل مشاركة حقيقية."

سامر:

– "مثلًا؟"

فارس:

فارس أشار إلى إحدى الصور التي تظهر أطفالًا يجلسون على الأرض يلعبون بلعبة تعليمية من الكرتون:

– "زي ورشة *اللعب المعرفي*. نستخدم أدوات بسيطة، لكنها بتوصل مفاهيم كبيرة زي الاحترام، التعاون، وتنظيم الوقت... من غير ما نحكي، نخليهم يعيشوا الفكرة."

حسام قلب الصورة لورشة ثانية، فيها شباب أكبر يحيطون بدائرةنقاش.

– "ودي ورشة *نقاش الظل*. نفتح فيها مواضيع حساسة بس ضرورية: التنمّر، الغضب، الإدمان الخفي... ونخليهم يتكلموا، يسمعوا بعض، بدون أحكام."

سامر كان ينظر بانتباه حقيقي، وقال بإعجاب:

– "واضح إنو الشغل متعوب عليه... يعني الموضوع ما عشوائي."

فارس:

– "إحنا مؤمنينإنو التغيير ما بيبدأ بالتمويل، بيبدأ بالسؤال الصح. وعلشان كده، الفريق كلّه بيخضع لتدريب أول... كيف يسمع، كيف يحتوي، كيف يتعامل مع الاختلاف."

سامر (بحماس):

– "أقسم بالله دا الشي اللي كنا بندور عليه! نحنا بنجمع تبرعات ونوزعها... لكن كنا دايمًا نحس إنو في حاجة ناقصة."

حسام:

– "النية كويسة، لكن من غير عمق... بتحس إنك ما لمست الناس. نحنا بنحاول نلمس، نسمع، وبعدها نساعد."

فارس ابتسم وقال:

– "طيب، خلينا نبدأ عملي. عندنا يوم ميدانيالسبت الجاي. لو جاهزين، نضيفكم معانا وننسق الأركان سوا."

سامر هز رأسه بحماس:

– "جاهزين من الان"

حسام أخرج هاتفه، وبدأ يضيف سامر و رفاقه إلى مجموعة جديدة مع الفريق وارسل له شرح توضيحي لطريقة الورش والبرامج.

مر الاسبوع

في مساء يوم الجمعه، مجموعة واتساب "يوم الأثر – تنسيق"*

قبل يوم العمل الميداني – الساعة 7:42 مساءً

سامر:

مساء الخير يا جماعة... حبينا نراجع معاكم الورش قبل بكرة، عشان نكون على نفس الخط.

فارس:

ممتاز يا سامر. أبدأ أنتوا باللي حضرتوه، ونكمل من عندنا.

ماب (من فريق سامر):

قسمنا الأركان كالتالي:

1. *ركن الرسم الحر + الكتابة:* مخصص للتعبير عن المشاعر من غير توجيه مباشر.
2. *زاوية "أنا أقدر":* أنشطة حركية فيها تحدي بسيط يكشف مهارات الأطفال.

3. *ركن "احكيلي حكايتك":* بنستخدم فيه بطاقات فيها مشاهد مختلفة، الطفل يختار ويحكي قصته.

4. *صندوق الألوان الباردة:* مساحة للتهدئة، فيها رمل ملوّن ومجسمات صغيرة.

فارس:

مرتب جدًا. ودي إضافة مهمة يا مأب. ركزوا بس على "السياق" مش "النتيجة".. يعني ما تفرح لو طفل ضحك، اسأل ليه ضحك؟ مع مين؟ بعد شنو؟

نسيبة:

وعادي جدًا لو طفل انسحب من ركن... دا مش فشل. دا مؤشر. نراقب ونسجّل.

حسام:

ما تنسوا: أي طفل يتجه للعدوانية أو الصمت الشديد،ما تضغطوه. خلوه يختار الانسحاب... وبلغونا بهدوء.

سامر:

وصلت. حنكون أول ناس في المدرسة لأننا من نفس الحي. نبدأ نجهز من بدري.

أحمد:

جميل. نحنا حنوصل بعدها بنص ساعة... لو احتجتوا أي دعم وقتها، كلمونا.

رفيدة:

لا تنسوا تدوّنوا ملاحظاتكم من البداية. اليوم دا حيعلّمنا إحنا كمان.

---

* صباح يوم العمل الميداني – فناء المدرسة*

"صباح الحي"... يومٌ عادي لأهله، لكنه استثنائي لفريقٍ حضر ليملأ الزوايا بالدهشة.

سامر، مأب ، جهاد ورفاقهم وصلوا مبكرًا. كأنهم يعرفون المكان أكثر مما يعرفون أنفسهم.

فرشوا الأرضيات، علقوا لافتات "مساحتنا.. مساحتكم"، نصبوا الطاولات ورتبوا الأركان دون انتظار تعليمات.

جهاد مسح جبينه وهو يضحك:

– "كأننا بنحضّر لفرح كبير... بس من نوع مختلف."

مأب أشارت للأطفال الذين بدأوا بالتوافد والمساعدة:

– "في أطفال بيكبروا في اللحظة... مش بعدين."

طفل صغير ساعد سامر في رفع لافتة. سامر انحنى، علّق على صدره شارة "مساعد اليوم"، وهمس له:

– "إنت من الفريق رسميًا."

الطفل ركض بها كأنّه يحمل وسامًا.

8:20 صباحًا

وصل *فارس، أحمد، شهد، نسيبة، إحسان، رفيدة، يامن، حسام، شاكر، مها*.

حقائب على الظهر، وقلوب مشحونة بالتوقّع.

فارس قال بابتسامة وهو يرى التنظيم:

– "نحنا اتأخرنا بس عشان نخليهم يلمعوا، وهم طلعوا قدّها، هم مجتهدين فعلا."

أحمد ضاحكًا:

– "الذكاء إنك تعرف متى لاتكون الأول."

حسام التقط لقطة بانورامية وقال:

– "دا مش افتتاح... دي بداية حكاية طويلة."

الأنشطة تنطلق

– *ركن الحكاية:*

مأب تجلس مع طفل يمسك بطاقة بها صورة عشاء عائلي.

قال الطفل بهدوء:

"أنا ما عندي عيلة كده... بس جدتي تطبخ لينا مرات."

*مأب * كتبت ملاحظة، ثم أعطته ورقة:

– "ارسم بيتك... نعلّقه هنا."

– *ركن التعبير:*

رفيدة تجلس على الأرض معها احدى المبادرات ، الأطفال من حولهما يرسمون أحلامهم.

قالت لطفل رسم طائرًا:

– "كلنا فينا جناح... بس مرات ننسى نطير."

– *ركن الفنون:*

إحسان و *شهد *توزعان الألوان ويشرع الأطفال في الرسم

إحسان تشرح للطفلة كيف يمكن للون واحد أن يغيّر مزاج لوحة كاملة.

– "زي الكلمة الطيبة... ما بتغير الجو بس، بتغيّر القلب."

لس د. عارف مع مجموعة من الأطفال تحت ظل شجرة في فناء المدرسة، وقال لهم بابتسامة هادئة:

"خلونا نتكلم شوي، هل في شي مضايقكم؟ أو حاجة بتحبوها

عايزين تحكوها؟"

رفع طفل صغير يده بتردد وقال:

"أنا بخاف لما أبوي يعصب ويصرخ، بحس نفسي وحيد."

تنهد د. عارف بحنان:

"مفهوم يا بطل، لما الناس اللي بنحبهم يتصرفوا كدا بنحس بالحزن والخوف. بس عارف إنو ما دايمًا المشكلة فينا، مراتالكبار نفسهم عندهم هموم وهم ما بيعرفوا يعبروها."

نظرت بنت صغيرة وقالت:

"أنا ما بحب المدرسة، أحيانًا زملائي بيضحكوا عليّ."

ابتسم د. عارف وقال:

"المدرسة لازم تكون مكان بتحس فيه بالأمان والمرح، بس مرات الناس ما بيكونوا لطيفين. كيف بتحبي لو نلاقي طريقة نساعدكم تحسوا أحسن؟"

قال ولد آخر بحماس:

"أنا بحب الرسم، لما برسم بحس إني سعيد."

قال د. عارف وهو يشجع:

"الرسم جميل، هو طريقة تعبر فيها عن نفسك، ولو حبيتوا نعمل ورشة رسم مع بعض الأسبوع الجاي؟"

ابتسم الأطفال وفرحوا وجلسوا يتحدثون بحيوية، بينما كان د. عارف يكتب ملاحظات، معبرًا عن اهتمامه العميق بهم.

– *ورشة المجتمع:*

مها تناقش المراهقين عن "كيف نغيّر حينا؟"، تسأل، تسمع، تدوّن، وتترك لهم يكتبون مقترحاتهم.

– *يامن وحسام:*

يامن يقف مع الأطفال ويسألهم:

– "لو كنت قائد ليوم واحد... حتعمل ؟"

حسام خلف الكاميرا، يلتقط الدهشة في عيونهم والاجوبة العفوية .

– *ساحة الألعاب:*

فارس و*شاكر* ينظمان سباقات بسيطة. ضحك، صراخ فرح، قفزات في الهواء، وطفل يصيح:

– "أنا أسرع ولد في المدرسة!"

نسيبة تمر بين الأركان، تدعم، تبتسم، تصلح موقفًا هنا، تربت على كتف هناك.

المباراة الكبرى – "كبار × صغار"

بعد انتهاء الورش، وقف *شاكر* في منتصف الساحة وصفّر بصوتٍ عالٍ:

– "المباراة النهائية... ما بين الفريق الكبير، وفريق الأحلام!"

ركض الأطفال نحو الساحة بحماس، بعضهم يرتدي شارات من الورش، وآخرون يحملون كراتهم الصغيرة.

فارس، واثق كعادته، شدّ رباط حذائه الرياضي وقال:

– "الروح الرياضية فوق كل شيء... بس ما ح نرحمهم."

سامر ضاحكًا:

– "يا راجل... ديل جايين يهزموا جيلنا كامل."

مها و*نسيبة* بدأتا توزيع الأوشحة على الفريقين، وقادتا التشجيع من الجهة الجانبية.

يامن حمل الكاميرا ثم قال:

– "دي لازم تتوثّق... مباراة التاريخ!"

رفيدة وقفت بجانب الأطفال، تهمس للبعض تكتيكات سرّية.

أحمد لمحها وقال:

– "تجسّس واضح... اللجنة الأخلاقية لازم تتدخل."

الصافرة الأولى انطلقت... والأرض اهتزت بالضحك والهتاف.

الكرة تتحرّك، وتتحرك معها الأرواح.

الطفل محمد يراوغ فارس بطريقة أذهلت الجميع، ثم يسدد بقوة.

حسام يحاول التصدّي لكنه ينزلق، والكرة تدخل.

هدف أول للصغار!

انفجر الحي بالتصفيق، الأطفال يقفزون فوق بعضهم.

الصغار يركضون فرحًا نحو المدرجات الخشبية، *شاكر* يرفع يده ضاحكًا:

– "حذرناكم... الجيل الجديدجاي بقوة."

بدأت المبارزة تشتد، *سامر* يسجّل هدفًا بتسديدة من منتصف الساحة.

النتيجة 2-2

الدقائق الأخيرة، والكل في قمة التركيز.

الطفلة هناء تخطف الكرةمن *أحمد* بيديهاالصغيرتين، تركض بها، تصل أمام المرمى، ثم تتوقف وتهمس:

– "دي للفريق، مش لي."

تمرير سريع للطفل *آدم*، يسدد... *هدف الفوز.*

3-2 للصغار!

الكل ينهار ضاحكًا على الأرض، *يامن* يصيح:

– "الأطفال هزموا فارس المدرب، المستحيل كذبة كبيرة صاح؟ ."

رد الأطفال

"نعمممممممم"

د. سامي صفق بهدوء، ثم قال:

– "اليوم... الأطفال فازوا، بس نحنا كبرنا."

بعد انتهاء المباراة وضحكات الفريق والأطفال ما زالت تتردد في المكان، اجتمع الجميع في الساحة. الشمس بدأت تميل، والنسيم صار ألطف.

رفيدة أمسكت الميكروفون،وبابتسامة فيها أثر التعب والحب قالت:

"الضحك اللي سمعناه اليوم... هو أكبر نجاح حققناه."

سامر أشار بيده، فتقدّم*مروان*، أحد الأطفال، ومعه صندوق خشبي صغير.

فتحه... بداخله شارات ورقية، عليها كلمات مثل: "قائد اليوم"، "مساعد مُلهم"، "صديق الجميع".

مأب بدأت تنادي الأسماء، كل طفل يخرج وسط التصفيق، يستلم شارة، ووجبة صغيرة ملفوفة بمحبة

شاكر همس لـ *أحمد*:

"العدد الكبير دا؟ محتاجين نكرر التجربة في حيّ تاني... القلوب جاهزة."

يامن كان يلتقط الصور الأخيرة،بينما *حسام* يصوّر فيديو ختامي، يظهر فيه *فارس* وهو يحمل طفلًا على كتفه، والطفل يرفع شارة "بطل اليوم".

مها و*إحسان* وزعن الهدايا البسيطة للأطفال، بعض الدفاتر الملوّنة، أقلام، وبطاقات تحفيزية.

رفيدة تنظر إلى الفريق... ثم تغلق دفترها، وتكتب آخر سطر:

"اليوم... لم نزرع وردة. نحن زرعنا ظلًا"

انتهى اليوم. لكن الشعور الذي تركه... بدأ لتوّه.

عند المغيب

الحي يعود لروتينه، الأطفال يلوّحون للفريق من النوافذ.

فارس قال لـ*سامر*:

– "أظن، لقينا مكانًا نزرع فيه… وناس حتحرس الحكاية بعدنا."

_____

الخميس مساءً – في المقر الرئيسي _المكتبة العامة .

الإرهاق واضح، لكن العيون فيها شغف. الأوراق متناثرة، والشاشة الكبيرةفي الزاوية تُعرض عليها خارطة كبيرة لمدارس المدينة والقرى.

شاكر يفتح جهازه المحمول ويقول بابتسامة صغيرة:

– "دي الخريطة المُحدّثة… ضوء أخضر على المدارس اللي تمت زيارتها، وعددها الآن ١٥."

إحسان (وهي تقلب ملف العضوية الإلكتروني):

– "طلبات العضوية زادت جدًا. بس في أسماء محتاجة مراجعة. بعضهم شكله متحمس،بس ما واضح مدى استعداده للالتزام."

أحمد (ينظر نحو شاكر):

– "طيب شاكر... لو دربنا سامر ورفاقه تدريب مركز؟ نأهّلهم يكونوا مسؤولين عن مدارسهم بالكامل. نفتح مسارات محلية."

رفيدة (وهي تمسك دفتر ملاحظاتها):

– "يعني يكونوا نقطة الارتكاز هناك؟ دا ممكن يخفف علينا كتير... بس بشرط نضمن إنو عندهم الحد الأدنى من التدريب النفسي والتربوي."

يامن (بصوت مدروس):

– "أنا ممكن أعدّ معهم حقيبة مصغّرة... فيها دليل تدريبي مبسط، ونقيس استجابتهم من أول ورشة يشرفوا عليها."

شهد (وهي تشير للخريطة):

– "نوزّع القرى حسب القرب الجغرافي، ونسجّل كل مجموعة من المتطوعين تحت اسم مشرف مباشر من الفريق الأساسي."

مها (وهي تكتب في دفترها):

– "بس نحتاج نظام متابعة دقيق... عشان ما نحرق الفريق ولا نترك الناس الجدد بدون دعم."

د. سامي (يدخل بهدوء، وقد تابع الحديث من الباب):

"واضح إنو المشروع بدأ يكبر... ودي سنة الحياة. بس لما يكبر، يحتاج جذور أعمق، ومراقبة أدق."

نظرات احترامتتجه نحوه. ثم أضاف بثقة:

– "خلونا نخطط للقاء تدريب أول مع سامر والمجموعة... ولو أثبتوا أنفسهم، نخليهم نواة فرعية... بعيون الفريق وروحه."

إحسان (تبتسم):

– "والعضوية؟ نفتح باب انضمام جديد... لكن هالمرة، مع مقابلة شخصية."

شاكر (ينظر للخريطة مرّة أخرى):

– "إن شاء الله بعد كم شهر... نكون غطينا كل النقاط الحمراء."

رفيدة:

– "بس المهم... ما ننسى ليه بدأنا."

يسود الصمت لحظة، ثم يبدأ العمل مجددًا.

في قاعة مدرسية سمح لهم بالعمل فيها ايام الاجازات

المقابلات بدأت منذ الصباح. *إحسان* كانت تمسك بملف كل متقدّم،تقرأ بسرعة، تدوّن ملاحظات، وتنتظر بصبر إجاباتهم.

يامن يجلس إلى جانبها، يستمع بتركيز، يبتسم حينًا، يتأمل حينًا آخر.

المقابلة الثانية – شاب يُدعى عاصم، خرّيج علم نفس:

– "أنا اشتغلت في مركز تأهيل، وشفت أولاد كان ممكن حياتهم تختلف لو لَقوا واحد يسمعهم بدري."

إحسان كتبت: "يملك فهمًا واقعيًا للتحديات النفسية."

المقابلة الثالثة – فاطمة، طالبة تربية فنية، جريئة ومتحمسة:

– "بشتغل مع أطفال الشوارع بشكل عشوائي من سنتين... بس محتاجة أشتغل ضمن فريق عنده خطة."

يامن سألها: "ولو ما سمحو لك تشرحي فنون، بس تلوني مع طفل؟"

أجابت: "الفن ما محتاج لغة... يكفي يكون في قلب."

المقابلة الرابعة – خالد، هادئ، خجول قليلًا، خريج لغة عربية:

– "أنا ما بعرف أتكلم كتير... بس بعرف أقرأ الحكايات بصوت يحس بيه الطفل."

بعد اسبوعين ...

مها تنهي تدريبًا عمليًا لفريق سامر :

– "أي نشاط لازم نربطه بهدف واضح. اللعب مش عبث. هو لغة الأطفال للتعبير."

شاكر يصحّح أخطاء أحد الأعضاء:

– "ما تقول (عيب) لطفل... قل: تعال نعيدها سوا، أحسن."

بعد أن انتهوا من ما عليهم

*أحمد *:

"السلام عليكم، سامر لازم نتكلم في موضوع مهم لو عندك وقت "

*سامر *:

"وعليكم السلام ورحمة الله، أكيد طبعا"

-" انت عارف التمويل لمشاريع ذي دي صعب والدعم المجتمعي الا في مرحلة متأخرة "

--" الدعم ما عندفيه مشكلة سلفا نحن نتواصل مع جهة خيرية تعتبرنا ثقة، فعندنا مساحة نطرح الفكرة"

صافحه أحمد وقال :

" بالتوفيق ياباشا "

اخيرا الفريق قرر ان يستريح قليل

على الطرقات... في الحافلات، السيارات، والقطارات، يعود أفراد الفريق الأساسي إلى مدنهم وقراهم.

"العودة التي لم تكن كما توقّعوا"

في هذه الإجازة القصيرةالتى مُنحت للفريق، عاد كل عضو من الفريق إلى مدينته أو قريته.

بحثوا عن دفء الراحة، وابتسامة ترحيب من الأهل... لكن الواقع كان مختلفًا.

***

أحمد جلس مع أمه في المطبخ، رائحة الشاي بالنعناع تعبّق المكان، لكنها لم تكن كافية لتخفيف حدّة الحديث.

قالت الأم وهي تُقطّع الخبز:

– "يا أحمد، الناس بيقولوا إنك ما بتقعد في البيت إلا يومين، والباقي شغل في مشاريع ما مفهومة... إنت دارس؟ ولا دا شنو؟"

رفع رأسه، ثم قال بهدوء:

– "بنشتغل عشان نفتح عيون الناس يا أمي... بس شكلو ما كل الناس دايرة تفتّح."

نظرت إليه طويلًا، ثم قالت:

– "ما تنسى وعدك لي... إنك تبقى واحد الناس تعتمد عليه. بس الناس ما بتشوف النوايا، بتشوف النتايج الأهم انك ماتضييع نفسك ."

سكت. قلبه انكمش، لكنه لم يجادلها. أمه لم تكن ككل الأمهات، يعرف كم تحبّه، وتخاف عليه... فقط تخشى أن يُؤذى من طريق لا يفهمه كثيرون.

***

فارس أوصل *يامن* بسيارته. وقبل أن ينزل، قال يامن ممازحًا:

– "تتوقّع أهلي يستقبلوني بالزغاريد؟ ولا بالمحاضرة المعتادة؟"

ضحك فارس:

– "أنا خلاص حافظ خطبة الوالد عن ضياع طلاب الطب، حافظها أحسن من المواد نفسها الزغاريد يوم عرسك بس !"

ضحك يامن ثم صافحه وقال:

– "ربنا يصبّرنا ويقوّينا... نشوفك بعد الإجازة يا فارس."

تحركت السيارة، وكلٌّ منهما يجهّز نفسه لواقع ما زال يشكك فيهم.

***

نسيبة عادت إلى حارتها القديمة. كانت الشمس مائلة، وجدران البيوت متشققة، تمامًا كما تتذكّرها.

جارتهم، حين رأتها، قالت لأمها من بعيد:

– "نسيبة مربية ؟ والله ديل ما عندهم موضوع !"

نسيبة سمعت، ولم تعلق. فقط احتضنت دفترها بقوة.

في غرفتها، قلبت صفحة فيها رسمة لطفلة تبتسم، وكتبت تحتها:

"طفولتي كانت دافئة... وطفولتهم مكسورة المعادلة غير موزونة ."

***

رفيدة و*شهد* كانتا على متن القطار المتّجه نحو الجنوب. جلستا متقابلتين، نافذة القطار تعكس الوجوه المتعبة.

قالت شهد وهي تمسك هاتفها:

– "خالتي قالت لي: شغل مجاني؟ بتضيّعي وقتك !"

رفيدة أغلقت عينيها للحظة، ثم تمتمت:

– "مرات بحس الناس عايزة تفهمنا، بس اللغة بيننا مكسورة."

شهد نظرت إليها بتعاطف:

– "الفريق واحد... حتى لو اللغة ما كانت كاملة."

***

حسام جلس في فناء البيت، وأمه تنظر إليه بحذر:

– " شغلك ده، صور أطفال ولقاءات؟ يعني ما عندك خطّة واضحة يا حسام؟"

هزّ رأسه، يتفادى نظرتها، ثم تمتم:

– "أنا شفت شباب كتير ضاعوا... بس لو لقيناهم بدري، يمكن كنا أنقذناهم."

أمه لم تفهم تمامًا، لكنه فهم.

***

مها كانت في جلسة عائلية، أخوها قال لها بصراحة:

– "شغلكم ده لا بيدخلقروش، لا شهادة، لا مستقبل. بس تعب مجاني."

نظرت له وقالت:

– "أحيانًا، الشغل الحقيقي هو التعب المجاني. بس بتدفعه عن ناس غيرك."

****

شاكر جلس مع والده في المساء.

كان والده يتصفّح الجريدة كعادته، عابسًا بعض الشيء، دون أن يرفع عينيه، قال بنبرةصارمة:

"لو دايرين تعملوا فرق حقيقي... لازم مشروع واضح، خطة، تمويل، نتائج ملموسة. مش بس ورش ونوايا طيبة."

شاكر ابتسم ابتسامة صغيرة، فيها مزيج من تفهُّم وتحدي، وقال بهدوء:

"عارف يا أبوي... عشان الناس تصدّق المشروع، لازم أولًا تصدقنا نحنا. موثوقيتناقبل ميزانيتنا."

ثم أضاف وهو ينظر إلى الجريدة:

"نحنا بنتعامل مع بشر... ما بس أرقام وتقارير. الإنسان لو ما آمن، ما بتغير... حتى لو صرفت عليه ملايين."

والده صمت قليلًا، ثم قلب صفحة الجريدةببطء، دون أن يعلّق.

***

عاد أعضاء الفريق بعد الإجازة، ليس فقط بأمتعتهم... بل بكلمات ثقيلة، وعيون تترنح بين الشك والثبات.

كلٌّ منهم واجه شيئًا في بيته... اتهامات، تساؤلات، وربما خذلان خفيّ.

لكن شيئًا ما تغيّر...

كأن التجربة قربت قلوبهم أكثر، كأن كلّ واحد صار يرى في الآخر امتدادًالصراعه الخاص.

لم يعودوا كما كانوا... لأنهم ذاقوا شيئًا من الأثر.

***

في مقهى صغير على ناصية الطريق، اجتمع الشباب في مساء الثلاثاء.

تحلقوا حول طاولة ، أكواب الشاي بالنعناع تتصاعد منها الرائحة، والتعب بادٍ على الوجوه... لكن الأرواح كانت متوثبة.

يامن، مشاكسًا أحمد:

"شكلكم بقولوا كنتوا معاقبين، حالتكم تحنّن."

أحمد ضاحكًا:

"وإنت الظاهر جيت ماشي من بيتكم كداري (يعني على قدميك) ، شكلهم نفذوا عليك سلسلة عقوبات! نشفت يا ولد!"*

ضحك الجميع، وضربت الموجة على *يامن* هذه المرة.

يامن رفع حاجبيه وقال بتمثيل درامي:

"فليسجل التاريخ... أن أحمد عاقل الفريق، أصيب بداء يامن المجنون... كما ترون، انتهى البيان!"

فجأة عند باب المقهى، دخل *شاكر* رافعًا يديه بحماس:

"يا ناس... كيفكم ياخ؟ مشتاااقين!"

أحمد صاح ضاحكا:

"المجنون دا قايل نفسه داخل حفلة؟! اجروا عليه قبل ما ننطرد!"

يامن، وهو يضحك:

"أجروا، لكن قولوا ليهو يامن لسه ما كمل كباية الشاي ماتتهور !"

ضحكوا كلهم، وتمازحوا، وسلّم *شاكر* بحرارة، وجلس بينهم.

لم يكن اللقاء اجتماعيًا فقط... كان أشبه بالعودة إلى بيت صغير، لا سقف له إلا الأمل، ولا جدران له إلا الصدق.

كلٌّ منهم بدأ يتحدث عمّا يجول في قلبه...

لكنهم جميعًا، دون أن يقولوا، كانوا يعرفون:

الطريق صار أوضح... وأقرب.

الخميس مساءً، في قاعة الاجتماعات الصغيرة المعتادة.

الجو هادئ على غير العادة. الوجوه مألوفة... لكن العيون تغيّرت.

رفيدة دخلت أولاً، تحمل ملفات مرتبة، وضعت كوب القهوة أمامها وجلست بصمت.

تبعها أحمد، ثم إحسان، شاكر، يامن، نسيبة، حسام، فارس، مها، وأخيرًا شهد.

جلسوا في دائرة، كأن شيئًا غير مرئي يربطهم.

أحمد ابتسم وهو ينظر حوله:

– "ها نحن كلنا رجعنا... وما في زول استقال!"

ضحك خفيف عمّ القاعة، كسر الجمود.

فارس قال بنبرةأهدأ:

– "الإجازة كانت اختبار بصراحة. سمعت حاجات من ناس قريبة... خلتني أراجع كل حاجة."

نسيبة:

– "وأنا... حسّيت بفرق الزمن بيننا وبين أطفال الحي. إحنا كأننا من زمن وطفولتهم من زمن تاني."

يامن رفع هاتفه وقال مازحًا:

– "جاتني رسالة من خالي تقول: (لقيت ليك شغل ولا لسه بتربي في عيال الناس؟)"

الكل يبتسم ويهز راسه بمعنى لا فايدة في انتظار يامن ليعقل .

شهد نظرت إلى رفيدة ثم قالت:

– "كلنا راجعين ومصّريين نكمل . "

إحسان فتحت دفترها وقالت بهدوء:

– "أنا موثّقة ملاحظات من كل مقابلات العضوية الجديدة. فيه شخصيات قوية قدمت، محتاجين نبدأ تصنيفهم."

شاكر:

– "وفريق سامر؟ الكورس المكثف خلصوه، والنتائج مبشّرة. عايزين نختبرهم ميداني في الزيارة الجاية."

مها:

"أنا وإحسان حضرنا نموذج تقييمي لتفاعل الأطفال. فيه نقاط ضعف ظهرت، بس نقدر نعالجها بسرعة."

حسام:

– "التوثيق بتاع المرحلة الفاتت جاهز. بس محتاجين نحدّد رسالتنا القادمة... لأن الهجوم ممكن يرجع، والناس محتاجة تشوف أثر حقيقي."

رفيدة أخيرًا، نظرت إليهم جميعًا، ثم قالت بهدوء:

– "أنا شايفة إننا اتغيرنا... مش بس من التجربة، لكن من الصدام مع الناس. كل واحد فينا لمس الحكاية بعمق مختلف. الجاي ما ساهل... لكن أوضح."

سادت لحظة صمت... ثم قال *أحمد* بابتسامة:

– "طيب... نبدأ نرسم الخريطة الجاية؟"

كل الأيادي امتدت للدفاتر، الأقلام، الأجهزة.

لكن هذه المرة... القلوب كانت أكثر استعدادًا.

*

.٧

الغربة الحقيقة انا لا تجد نفسك

في سكن الطالبات بعد صلاة الفجر ، استيقظت رفيدة صلت ثم تأملت جمال الشفق، اعدت كوبا من الشاي ثم تصفحت هاتفها وهي تحتسي الشاي ، وصلت رسالة مفاجئة:

"تم قبولك في منحة لاستكمال دراستك في الخارج لمدة عامين."

ابتسمت لكنها شعرت بثقلٍ غريب. أرسلت الرسالة إلى مجموعة الفريق، وظهر على وجوه الجميع مزيج من الفرح والحنين.

شهد كتبت:

"فرحانين ليك، لكن المكان ما حيكونش نفسه من غيرك."

أحمد قال:

"الركن الكبير بيغادرنا، بس دايمًا على نفس الدرب ."

شاكر أضاف:

"نتمنى ليكي كل الخير، وما تنسي الفريق دا."

رفيدة أرسلت كلمة واحدة، لكنها كانت مليئة بالأمل:

نحن مستمرون

جاء يوم الخميس الطقس دافئ، والشوارع مليئة بالمارة والباعة المتحولين، التقى الفريق في المكتبة مجددا

قبل سفر رفيدة بأيام، وبينما كانت الأنشطة المدرسية تُخَطَّط بشغف، ظهر ما لم يكن بالحسبان.

إحدى الجهات التي وعدت بالدعم المادي والإعلامي انسحبت فجأة. لم تبرر، ولم تعتذر.

في المكتبة الكبرى، اجتمع الفريق، والأوراق مبعثرة أمامهم كما أفكارهم.

أحمد (بتوتر):

"كل شغلنا متعلّق بالدعم... البنرات، الطباعة، حتى بعض أدوات الأطفال."

حسام (منزعجًا):

"قفلوا الباب قبل ما نمد يدنا... ما توقعتهم ينسحبوا بالسهولة دي."

فارس (بحزم):

"ما عندنا رفاهية الانسحاب. الأطفال منتظرين، والناس بدأت تلاحظ شغلنا. دي لحظة اختبار حقيقية."

يامن (ساخرًا بنبرةتخفف الجو):

"عايز تعمل حل؟ نسجل دويتو أنا وحسام وننشره في التيك توك... يمكن يجينا دعم من شركة مشروبات!"

ضحك خافت، تبعه صمت ثقيل.

رفيدة (بهُدوء):

"الناس بيوقفوا، بس الأفكار لا. إحنا ما بدأنا عشان ممول... بدأنا عشان ناس، أطفال، ومجتمع محتاجنا."

شهد (بصوت فيه رجاء):

"بس رفيدة... انتِ ما حتكوني هنا."

رفيدة صمتت قليلاً. نظرت إليهم كمن يخزن ملامحهم

إحسان :

" نصمم ألعاب بأيدينا. التحدي ممكن يكون مصدر إبداع."

*فارس رفع القلم، وبدأ يكتب على السبورة:

"البدائل تبدأ من هنا."

***

وفي محاولة للهروب من ثقل اللحظة، خرجت *رفيدة* في صباح اليوم التالي مع *شهد، نسيبة، مها، وإحسان* إلى السوق الشعبي.

كانت الشمس دافئة، والنسيم خفيف، والقلوب متداخلة بين فرح اللحظة وحزن الوداع القريب.

ومع ذلك، لم تكن الرحلة عشوائية. كل واحدة منهن كانت تُفكر كيف تُحضّر شيئًا مفيدًا للأنشطة القادمة.

شهد كانت تفتّش عن مواد للتزيين.

إحسان تسأل عن كتب صغيرة يمكن تقديمها كجوائز.

مها تقترح ألعاب تعليمية خفيفة.

نسيبة تبحث عن أقمشة تصلح لتصميم ركن حكايات للأطفال.

رفيدة وقفت للحظة، تراقبهن وابتسمت:

"أنا فخورة إني كنت بينكم... الفِكر ده ما بتسوّيه لجان ولا دعم، ده بينشأ فينا."

جلسن على عتبة محل صغير، يشربن الشاي بالحليب.

العطر، ضحكة نسيبة، مقالب شهد، تأمل إحسان، واقتراح مها... كلها صارت جزءًا من ذاكرة لا تُنسى.

مها:

"يعني... بجد حتمشي؟"

رفيدة (بهدوء):

"أنا حمشي... بس إنتوا ما تخلّوا الحكاية توقف. مش عشانّي، عشان اللي محتاجين لينا."

***

في الليلة الأخيرة،أرسلت رفيدة في المجموعة رسالة قصيرة:

"أنا مسافرة، بس قلبي بيبقى. الجذور الحقيقية ما في المكان، بل في النية."

كتب حسام:

"أنا كنت شايفك دايمًا هادية، بس اكتشفت إنك كنتي بتقودي من غير ما ترفعي صوتك."

ثم أرفقت صورة دفتر صغير كُتِب عليه:

"جيل عرفات لا ينهار عند العاصفة... بل يصمد حتى تُشرق القِبلة."

صمت في المجموعة، ثم كتب أحدهم:

"سنكمل... ولو بالضوء الذي تركته فينا."

رفيدة وهي تنظر إلى صورة الفريق مع الأطفال وضعت الصورة داخل الحقيبة ثم نظرت إلى كفيها كأنها ما زالت تحمل ضحكات الأطفال وصوت الفريق، كيف تترك هذا كله وتغادر..

لكن الأمر لم يكن فيه خيار.

وبعد أيام، اجتمع الفريق لأول مرة بدونها في المكتبة الكبرى. الفراغ كان حاضرًا رغم كل شيء

.الطاولة نفسها... الكراسي كما كانت، لكن شيء ما غاب

الفراغ كان واضحًا، لا يُملأ بكلمات، بل يُحتمل بالقوة

قال فارس بهمس:

"البداية دايمًا من فكرة... والليلة عرفنا إن النهاية ما بتكون نهاية... لو كانت الفكرة صادقة."

يامن – وهو يحاول رفع المعنويات:

"يعني خلونا نرجع نشتغل... وإلا رفيدة ترجع تلاقينا متفرغين نكتب خواطر!"

فارس تمتم: "لو دا حصل، أنا ما مسؤول عن العواقب!"

ضحك بسيط خرج من بعضهم، بحذر، بلطف، بمزيج من الحنين والقوة.

ثم نهض أحمد وقال:

"نكمل... عشان لو رجعت، تلقانا مكملين."

في هذه الجلسة ، ناقشوا مشكلة التمويل بإصرار.

يامن قال بابتسامة متعبة:

"أنا وحسام وأحمد بنفكرنشتغل شغل إضافي، حتى لو تعبنا، بس لازم نساعد الفريق."

فارس:

"مكافأة الدورة التدريبية اعتبروها في يدكم "

أحمد تنهد

"يعني انت برضو ماشي"

حسام :

"كدة صعب علينا"

فارس :

"كلها اسبوعين ان شاء الله مافي اي مشكلة ، في اقتراحات تانية؟ "

مها نظرت إليهم بعينين مليئتينبالعزيمة:

"أنا أفكر أبدأ مشروع صغير لبيع الحلويات والمشروبات الصحية، وحنوزع المنتجاتمن دكان البيت. ده حيكون مصدر دخل مستمر وقريب من الناس."

نسيبة بابتسامة هادئة:

"فكرة ممتازة يا مها، وأنا ممكن أساعد في تنظيم المشروع وإدارة الطلبات، ونشجع باقي الشباب يشاركوا معانا."

إحسان وشهد شاركتا بدورها بدعم الفكرة وتوزيع المهام، والجميع شعر بروح الفريق تزداد قوة رغم التحديات.

.

رنّ هاتف *شهد* في وسط الجلسة، فأشارت بلهفة:

"رفيدة!"

رفعت الهاتف ووصلته بالشاشة الكبيرة،فسكن الجميع في لحظة.

ظهرت *رفيدة*، هادئة كعادتها، وإضاءة الغرفة الجديدة خلفها تبعث لمسة من الغربة والدفء معًا.

رفيدة (بابتسامة باهتة):

"السلام عليكم ورحمة الله... أهل البيت ."

إحسان (بصوت يختنق بالحنين):

"وعليكم السلام... البيت فاضي بدونك."

يامن (ساخرًا بلطف):

"عادي يعني، خفّ علينا اللوم والتهذيب شوية!"

ضحك خفيف تسلل، لكنه يحمل الف معنى.

حسام (بهدوء):

"كيف الأيام هناك؟"

رفيدة:

"مختلفة... سريعة. بس رغم الزحمة، قلبي هناك معاكم، في كل فكرة، وكل خطوة."

أحمد:

"اليوم ناقشنا خطة التمويل... بنبدأ نتحرك،حتى لو الخطوة صغيرة بعد الدورة التدريبية المفاجئة لفارس وامتحانات شاكر في ضغط لكن بإذن الله نواصل وهم حيرجعوا قريب ان شاء الله ."

فارس:

" الوضع تحت السيطرة إلى الآن ربنا يعين الجميع، انتي اهتمي بأمورك والفريق هنا بإذن الله حيكمل"

رفيدة (بامتنان):

"أنا بشكركم كلكم، كل واحد فيكم فاهم ان الفريق ده ما كان مجردمشروع... كان وعد لناس كتار، وأنا متأكدة إنكم قدّه."

شهد:

"رفيدة مفتقدنك فعلا"

رفيدة:

" وانا لكن... خلينا النور، مش بس لمحيطنا.. لنفسنا أول.

اشتغلوا، اختلفوا، اتعبوا... بس دايمًا ارجعوا للنية.

لو النية صافية، الطريق مهما كان ضبابي حيوصلنا لانه قبلتنا دايما واضحة وواحدة"

نسيبة (بصوت متاثر):

"رغم انك بعيدة،بس دفء كلماتك قريب، الدعاء هدية بينا ربنا يوفقك دائما."

تأملت *رفيدة* الوجوه أمامها، واحدة تلو الأخرى، ثم قالت أخيرًا:

"رغم أني بعيدة ... لكن في كل مرة تتقدموا خطوة، في شخص هنا بيبتسم وبيصدق أكتر إنو التغيير ممكن مع السلامة وبالتوفيق."

أغلقت *شهد* المكالمة بلطف، لكن أحدًا لم يتحرك...

كأن الصمت كان احترامًا لظلٍّ لا يغادر.

بعد دقائق عاد احمد لفتح ملف التمويل ونسيبة تدون ملاحظاتها واتفقوا على أن يطبيقوا الحلول المقترحة حتى اشعار اخر

_____

بعد أيام...

في محطة السفر، كانت شمس صباح هذا الأحد خفيفة، والهواء مشبع بشيء من الحنين. وقف *فارس* أمام الباص المتجه إلى *ود مدني*، وحقيبته بجانبه، يحيط به *أحمد* و*حسام* و*يامن*.

يامن وهو يتظاهر بالصلابة:

"ما نوصيك، المدينة دي فيها مناظر كتيرة، خليك مركز في الدورة التدريبية، ما تتعامل كانك سائح!"

حسام (بابتسامة هادئة):

"بس جد... حتوحشنا يا زول، وجودك كان سند، وضحكتك ما بتتعوض."

أحمد وهو يصافحه بحرارة:

"خلي بالك من نفسك... ونحنا بنكمل هنا، ما تشيل هم. لمن ترجع تلقانا رافعين الشغل لفوق."

فارس (بصوته العميق المعتاد، وهو ينظر إليهم واحدًا واحدًا):

"أنا ماشي عشان أرجع أقوى... الفريق ده أكبر من غيابي، وأهم من وجود أي فرد. بس قلبي معاكم، في كل نشاط، وكل طفل، وكل لحظة تعب ونجاح."

رنّ جرس الباص معلنًا وقت المغادرة، فاحتضنهم سريعًا، ثم صعد دون أن يلتفت.

يامن (محاولًا التخفيف من اللحظة):

"أنا كنت عايز أقنعه يخليني أجي معاه، بس افتكرت السندوتشات حتتبهدل في الطريق!"

ضحكوا رغم الحزن، ومضوا بخطى هادئة، كأنهم يتركون قطعة من الفريق تسافر، لكنهم يعلمون أن ما يجمعهم... لا تفصله مسافة.

وهم يمشون عائدين، كان في كل خطوة سؤال جديد: كيف يمكن أن نكبر أكثر... ونحن نشتاق أكثر؟

***

٨.

إصرار المؤمنين وقارئ في ثياب قائد

تعب لا يُقال

شهر ونيف أنقضى ببطء ثقيل. لم تنجح كل المشاريع التي خُطط لها لتوفير التمويل، بعضها صمد أيامًا ثم تلاشى، وبعضها بالكاد جلب ما يكفي ليومين.

اجتماع في المكتبة الكبرى بدا باهتًا. الوجوه مرهقة، والأيدي مشغولة بالحسابات والأوراق أكثر من الأحلام.

أحمد (بهدوء):

"المصاريف اليومية قاعدة تأكل كل حاجة... الكاميرات، الورش، النقل، كل شيء محتاج مال."

إحسان:

"الطلبات قلت، حتى مشروع المعجنات ما قدرنا نحافظ عليه بنفس القوة."

يامن (وهو يضع رأسه على الطاولة):

"أنا شغال في مطعم من العصر للمساء، لكن برضو مافي تغطية حقيقية."

حسام:

"أنا وأحمد بنحاول نشتغل بالكافيه القديم، نفتح للطلاب، نبيع شاي وقهوة ونجهز ركن هادي. بس محتاج صبر."

مها:

"ونحن بنجهز باكيات ، نبيع المعجنات في أيام معينة... لكن الأرباح بسيطة."

شهد:

"الإصرار موجود، بس الوقت والضغط بيهلكوا الحماس شوية شوية."

يامن:

" اقول تعبنا ول فيها غرامة ياجماعة تعبت"

حسام:

" كلنا تعبنا لكن مافي خيار الموضوع مسؤولية ياباشا "

نوتة في الظل

بين أوراق مبعثرة على الطاولة، يجد *أحمد* دفترًا صغيرًا من متعلقات رفيدة التي تركتها ذات مساء.

فتح إحدى صفحاته، ليجد بخط يدها:

> *"طالما أن القرآن لم يُرفع من الأرض... فثمة فرصة لنكون خير أمة من جديد، ولو كان نهارنا أحلك من الليل.

> في كل زحمة، هناك فجوة تمرر الضوء... ما دامت النية صافية، الطريق سيوصل، ولو تأخر."*

قرأها بصمت، ثم ناولها بهدوء لـ*د. سامي* الذي حضر دون سابق تنبيه.

د. سامي (بصوت منخفض):

"النية... هي الفاصل بين الاحتراق والتوهج."

ثم سافر د. سامي فجأة لمدة شهرين في بعثة للخارج

هنا أصبح الأمر اشد وطاة

فارس، في رحلته التدريبة مع فريقه المتخصص في الألعاب الأولمبية ، أرسل مبلغًا من مصروفه لكن للأسف سيطول سفره حتى العام القادم .

د. سامي كذلك أرسل مساهمة من مشاركته في مؤتمر تربوي خارج البلاد.

كانت الأموال مثل نَفَس، لكنها لم تكن كافية لتأمين المستقبل.

كل خطوة ما زالت مرهونة بالأمل.

--

في احد الاجتماعات

رنّ هاتف *شهد* في وسط الجلسة.

"رفيدة!"

وصلت الهاتف بالشاشة الكبيرة، وصمت الجميع.

ظهرت *رفيدة*، وجهها هادئ، وحجابها مهندم،وخلفيتها تشير إلى غرفة جديدةمليئة بالكتب والهدوء.

رفيدة:

"السلام عليكم ورحمة الله... أهل الدرب."

الجميع:

"رفيدة وعليكم السلام ورحمة الله "

إحسان:

"البيت ناقصك."

يامن (بمزحة مريرة):

"التوجيه الصارم ."

مها:

"كيف حالك ؟"

رفيدة:

"وضع جديد. المسؤوليات كتيرة،والإجراءات خلّتني أنقطع... لكن والله، قلبي معاكم."

أحمد:

"لقينا نوتة ليك... كانت دفعة، في وقت التعب."

رفيدة (بابتسامة):

"الحروف البسيطة بتعيش أحيانًا أكثر من حضورنا."

نسيبة:

"دعواتك يا رفيقة."

شهد:

"رفيدة... نحنا دايرينك تعرفي إنك موجودة رغم الغياب."

رفيدة وعيونها تحبس دمعا تبتسم :

"بس أوعا تنسوا... النية الصافية، هي الي بتبقّى.

واختلفوا، اتعبوا، اتأخروا... بس لا تفقدوا اليقين.

وما دام القرآن معانا، في فرصة نبدأ من جديد،كل مرة."

ضحك يامن أخيرًا وقال:

"حتى في الخطبة بتاعتك دي، حسّيتك بتراقبينا!"

ضحك الكل. انتهت المكالمة، لكن ضوء الشاشة ظل مشعًا، كأنها ما أُغلقت

خلال أحد الاجتماعات، دخل *د. عارف* بهدوءه المعتاد، لكنه هذه المرة يحمل شيئًا غير عادي.

جلس، وضع ملفًا أنيقًا على الطاولة، ونظر للجميع بنظرة جادة... لكن فيها شيء من البشرى.

د. عارف:

"جهة تربوية كبيرة بتنفذ برنامج نفسي وتربوي في المدارس، ومحتاجين فريق مدرّب.

أنا رشحتكم."

سكت الجميع لثوانٍ، كأنهم يحاولون التأكد إنهم سمعوا صح.

أحمد (بتردد):

"لكن... إحنا مش متخصصين بالكامل في الجوانب النفسية، ما ممكن نأخذ خطوة أكبر مننا. "

د. عارف (بثقة):

"أنا ما برشح ناس عشوائيًا. في تدريب شامل، عملي ونظري، وهدف البرنامج متماشي مع رسالتكم من أول يوم."

انخفضت رؤوس البعض، بين ذهول وخوف من التحدي.

يامن (يرفع حاجبه):

"يعني... إحنا نشتغل على مشروع رسمي، وبمقابل كمان؟"

د. عارف:

"مش بس مقابل مادي... كمان مقابل أخلاقي. الأثر الحقيقي."

شهد (بابتسامة خفيفة):

"فرصة تثبت إن تعبنا ما راح سُدى... لكن كأنها أكبر خطوة أخدناها من بداية المبادرة."

نسيبة:

"وأكتر خطوة بنخاف منها برضو."

إحسان (بهدوء):

"كلنا تعبنا... بس يمكن التعب ده هو اللي جهّزنا للحظة زي دي."

حسام (ينظر نحو الكاميرا على الطاولة):

"أنا جاهز... بس عايز أرجع أصدق شغلي تاني، زي ما كنا في الأول."

رفيدة (أرسلت تسجيلًا صوتيًا للمجموعة، من الخارج):

*"اللي تعبكم ما ضعف....

أنا معاكم، من بعيد، لكن قلوبنا ما تعرف المسافة.

أقدموا... كل خطوة حقيقية، بتقربنا."*

أحمد (ينظر في عيونهم واحدًا واحدًا):

"إذن... نبدأ؟"

ارتفعت الأيادي واحدة تلو الأخرى.

د. عارف (وهو يغلق الملف):

"موعد التدريب: الأسبوع الجاي. حضّروا أنفسكم... دي أول خطوة لحياة مختلفة، مش بس لكم... للأطفال، وللأمل."

الخبر نزل كالماء البارد على جفاف أيامهم. وبدأ الفريق في التخطيط، كلٌ حسب اختصاصه.

وصلت الرسالة المنتظرة بعد طول غياب...

"السلام عليكم، أعتذر عن الغياب، الامتحانات والأبحاث سحبتني، لكن قلبي كان معكم... إذا في مكان لسه، أنا جاهز أرجع."

كان ذلك من *شاكر*.

لم يتردد*أحمد* في الرد:

"مكانك محفوظ... والمقعد بجانبنا فاضي من أول يوم."

عاد *شاكر*، فكان كأن شيئًا عاد ليستقيم... بحماسه القديم، ونضوجه الجديد.

***

كانت زيارة الفريق إلى الشركة الداعمة كمن يدخلعالماً لم يتخيله.

المكاتب، الأجهزة، العقل المنظم خلف كل شيء.

قال *يامن* وهو يتلفت بدهشة:

"دي أول مرةأشوف ناس بتحول الحلم لبروتوكول!"

ضحكوا، لكن في عيونهم تقدير لما رأوه.

الزيارة كانت كأنّها رحلة عبور من الحلم إلى الاحتمال.

ليس لأن المكاتب أنيقة، أو الأجهزة حديثة... بل لأن كل ركن في المكان يقول: *"مجهودكم ما ضاع... نحنا شايفينكم."*

في المصعد، وقفوا صامتين، يتبادلون النظرات... كأنهم لا يصدقون أن تعب الشهور قادهم إلى هنا.

يامن، بعفويته المعتادة، تمتم:

"أنا كنت قايل الفريق ده حيعيش ويموت في دفاترنا..."

ثم ابتسم وأضاف:

"لكن ربنا قدّر تُدوّن القصة في مكان أكبر."

ضحكوا، لكن تلك الضحكة حملت رجفة في القلب.

بداية جديدةداخل كل واحد فيهم

في ورشة "التقديم وإدارة الفعاليات"، جلست *مها* تقلب قلمها بهدوء، لكن في داخلها كانت تُحارب رغبة بالبكاء.

شاكر بجانبها، كان يسأل أسئلة عميقة، لا ليُظهر ذكاءه، بل لأنه دائمًا يؤمن أن "العمق هو احترام للعقول".

حين انتهت الجلسة، همست له مها:

"أول مرةأحس إن صوتي له وزن فعلاً."

فابتسم وقال:

"بس كان محتاج قاعة تسمع ليهو صح."

حسام في ورشة التوثيق البصري، أمسك الكاميرا الجديدة بيدين مرتجفتين.

لم يكن يخشى التقنيات... بل خشي أن يُخيّب ظنّ الطفل الذي رسمه في زيارته الأخيرة.

"أنا رسمتك عشان تكون بطل"، قالها الطفل ذات يوم.

فقال حسام في نفسه: *"والبطل ما بوقف."*

أحمد جلس في التخطيط الاستراتيجي، يملأ دفتره بخط دقيق.

في صغره، كان يُلقّب بـ"المنظّم الزائد عن اللزوم"، واليوم... صارت هذه "الزيادة" هي ما تحفظ الفكرة من السقوط.

شهد و*نسيبة* و*إحسان*، جلسن في ورشة إدارة الفرق.

ضحكات شهد، صمت نسيبة، ونظرات إحسان... كانت كل واحدة منهن تحمل تجارب الأحياء الشعبية، غرف المعلمات، قصص الأطفال.

حين سأل المدرب:

"ليش أنتن هنا؟"

أجابت إحسان:

"عشان نخلي طفل في زاوية منسية... يحس إنو اتولد من جديد."

حتى *يامن*، الذي ضحك على اسم ورشته "التواصل المجتمعي الإبداعي"، خرج منها بملف فيه خرائط، رسوم، شعارات كتب فوقها:

"الكلمة لما تتقال بي دفء، بتغيّر الواقع مش المزاج."

على حافة يومٍ جديد

في نهاية اليوم، اجتمعوا في زاوية الكافتيريا.

كانت الطاولات شبه فارغة، والإضاءة خافتة، لكن قلوبهم كانت مشتعلة.

إحسان، التي نادرًا ما تتحدثطويلًا، قالت:

" اليوم حسّيت إنو الفريق دا... بيت ما بندخلوا بباب، بندخلوا بالقلب، بالقلب الأمن بأنه الجاي خير وأحسن ونحن الحمد لله عشنا التجربة."

حسام مرر الكاميرا وقال:

"صورة واحدة من اليوم... تكفيني لما أتعب."

أحمد وضع دفترهعلى الطاولة وقال:

"أنا كتبت خطة للسنة الجاية... بس دي رحلة النفس والحياة ."

شهد أمسكت بكف نسيبة وقالت:

"الناس بتتغيّر... بس نحنا لازم نكون من الناس البتغيّر."

و*يامن*، كالعادة، ختم اللقاء بضحكة عميقة:

"دي ما كانت ورشة... دي كانت خلوة عرفنا فيها نفسنا من جديديافريق الفلاسفة ."

في تلك اللحظة، لم يكونوا مجرد فريق...

كانوا عائلة، تتكوّن لا من صلة دم، بل من شراكة وجع، وسعي، ونية صافية في جعل العالم أكثر توازانا .

ومن يقرأهم...

إما سيشتاق أن يكون واحدًا منهم،

أو سيبحث عن فريق يصنع له هذا المعنى .

****

يوم آخر في الشركة

بدأ اليوم بابتسامة من موظفة الاستقبال:

"أها... فرقة الحماس وصلت!"

ضحك *أحمد*: "نحن ما فرقة، نحن خطر مؤجل."

يامن كالعادة، تأخر دقائق... دخل يلهث، يحمل كوب قهوة وينادي بصوت عالٍ:

"أنا جيت... التميز وصل!"

لكن قبل أن يُكمل، خرج *أحمد* من زاوية المكتب، وقال:

"التميز ما بيتأخر يا فنان، شيلها قاعدة."

انفجر الفريق ضحكًا، بينما *يامن* يرد:

"ياخي انت ما بتقصر ، كأنك تطبيق رقابة منزلية!"

في الكافتيريا، البنات جمعتهن طاولة واحدة:

شهد ترسم في مفكرتهافراشة وقالت:

"أنا حأعمل ركن رسم للأطفال... الفراشة دي شعار البداية الجديدة."

نسيبة تمسح عدسات نظارتها وتهمس:

"وأنا عايزة أصمم ركن للحكايات... فيه وسائد وألوان وأحذية برا الباب."

مها قالت وهي تفتح لابتوبها:

"وأنا فكرت نعمل تطبيق صغير للأنشطة."

إحسان كانت منشغلة بكتابة خاطرة قصيرة:

"رفيدة كانت تقول دايمًا: "النية تُرى... حتى لو ما اتقالت".

اشتقت ليها."

سكتن لحظة، كل واحدة فيهن تتذكر *رفيدة* و*فارس* فكم نقص كادر الفريق ببعدهما؟ .

ثم قالت *شهد*:

"هما بعيدين... بس مافي رفاهية التوقف الهدف والوجهة فوق الجميع وكلنا على نفس الدرب بإذن الله ."

في نهاية اليوم، نادى أحد موظفي الشركة:

"يا جماعة، لو في فريق يستحق يعمل معجزة... فهو أنتو."

شاكر ابتسم وقال:

"نحنا بنحاول... وربنا جعل السنن لتتبع نحن بس مشينا بالسنن ."

لكن الحقيقة؟ الفريق ده ما كان مجرد مجموعة متطوعين...

كانوا بيتحوّلوا، يوم بعد يوم، لنماذج تؤمن إن التغيير ما بيبدأ من فوق،

بل من قلب مبصر، فكر راجح، خطة صغيرة...

أو من ذِكر إنسانة تركت أثرًا، ولسه بتمشي مع خطواتهم وإن بعدت، ومن ذكرة إنسان مُصر يختار يكون انسان رغم كل المحن.

***

توالت الايام حتى اكمل الفريق دورته في الشركة وأصبح مستعد لتطبيق ما تعلم من تقنيات وعلوم.

اليوم الأخير في الشركة...

صباح مختلف. حتى الهواء في الممرات كان فيه شيء من الحنين.

دخل الفريق كعادتهم معًا، لكن خطواتهم كانت أبطأ، كأنهم يمدّدون اللحظة.

في القاعة المخصصة للتكريم، كان الموظفون قد جهزوا ركنًا صغيرًا فيه صور، دفاتر، وبطاقة شكر كُتب عليها:

"أنتم لم تتدربوا فقط... أنتم درّبتونا على الشغف."

أحمد تمتم وهو يقرأ البطاقة:

"كلام زي دا بيخلّي التعب يستاهل..."

بدأ التكريم، واستلم كل واحد شهادته وسط تصفيق حار.

إحسان (وهي تمسك بشهادتها):

"كل يوم كنت بجري بين الجلسات وورش الأطفال... ما كنت عارفة إني ح أشتاق حتى لزحمة الطابق الرابع."

شهد (وهي تضحك):

"أنا؟ ح أفتقد سؤال البنات اليومي: (شنو أحلى لون كروت للأنشطة؟) حسيت عندي ٣٠ أخت جوّا الكافتيريا."

مها (بهدوء وابتسامة):

"علمتوني إن التنظيم ما بس ملفات... دا حب وانتظام في التفاصيل الصغيرة."

شاكر (يحمل دفتره):

"الناس بتفتكر الفريق دا بيخطط للأنشطة... لكن نحنا بنحاول نخطط لنُبقي الأمل حيّ."

حسام (يرفع الكاميرا):

"اللقطة ما بتتكرر... لكن أثرها بيبقى. ودي كانت أجمل لقطاتنا لحد الآن."

ثم أخرج صورة قديمة لفارس ورفيدة وهم يعملون في أول ورشة للفريق، وعلّقها بجانب صورة جديدة التقطها اليوم.

نظر الجميع للصورتين بصمت مؤثر.

نسيبة (بصوت واثق وعين تلمع):

"رفيدة قالت مرة (النية هي البداية)... ونحن خضنا رحلة من النية لخطة، ومن خطة لفرح ووعي ."

يامن (يحاول يخفي تأثّره):

"الشركة دي ما دربتني على التواصل المجتمعي بس... دربتني أسمع قلبي، وأسكت شوية... لما أحمد موجود!"

أحمد (ضاحكًا):

"بس لما تسكت بترتب لشي مجنون... دا أكتر شي بخوّفني!"

ضحك الجميع، حتى الموظفون شاركوهم الضحك، وكأن الفريق صار جزءًا من روح المكان.

في لحظة الوداع، وقفت مديرة البرنامج وقالت:

"أنا اشتغلت مع فرق كثيرة... لكن ما شفت فريق بيحب الفكرة لدرجة إنه يخلّي التعب يبدو زي متعة."

خرج الفريق بعدها للشارع... الجو كان دافئ، والشمس لينة.

شهد همست وهي تمشي:

"يعني خلاص؟ نرجع؟"

إحسان:

"نرجع نكمل، بعد ما عرفنا كيف نبدأ صح."

يامن (رافعًا صوته):

"رجعنا، بس بنُسخ مطوّرة! الجيل الثاني من الفريق جاااهز!"

أحمد:

"بس أهم شيء... الفريق نفسه، ما تغيّر... بس كبر."

وساروا جميعًا، والحقائب على ظهورهم، والنية القديمة لا تزال... ولكن هذه المرة، بأدوات أقوى، ورؤية أبعد، وحبّ لا يُوصف لما يفعلوه.

"عُدنا... لكنّا لم نَعُد كما نحن"

أسبوع مّر.

وصل الفريق إلى المدرسة الجديدة بثقة وهدوء... ليس التوتر القديم، ولا العشوائية الأولى.

اليوم، كل خطوة محسوبة، وكل شخص يعرف مكانه.

مها أخرجت خطة النشاط من ملف منظم، وزّعت المهام باحتراف، وقالت بابتسامة:

"كل دقيقة محسوبة... نديهم تجربة، مش مجرد نشاط."

شهد كانت تقود ركن التفاعل العلمي. جهّزت تجربة بسيطة، وخاطبت الأطفال بلغة تشدّهم:

"شايفين الفقاعات دي؟ زي الأحلام... تطير، بس لازم نعرف كيف نوجّهها."

إحسان وقفت بكل ثقة، توزّع كتيبات تصميمها بسيط واحترافي، وتحكي عن عادات يومية صغيرة تغيّر حياة الطفل.

قالت لمعلّمة:

"نحن بنشتغل على القيم اللي بتكمل شغل المدرسة."

نسيبة طوّرت ركن الحكايات ليصبح "مسرح ظلّ"، وخطّطت مع الأطفال مشهد قصير عن الإصرار.

واحد من الأطفال قال لها:

"أنا عايز أكون بطل في المسرح الجاي!"

ابتسمت وقالت:

"وحنعلّمك تكتب قصتك كمان."

شاكر دمج لعبة "أنا أقدّر نفسي" مع فقرة ارتجال تمثيلي...

كان يقرأ ملاحظات الأطفال ويعلّق:

"في ولد كتب (أنا طيّب). الطيبة شجاعة ما بس تكون ساكت بل تكون نافع ."

حسام هذه المرة لم يكن فقط يصوّر. كان يدير فريقًا صغيرًا من الطلاب بكاميرات‌صغيرة...

"نحن ما بنصورهم، نحن بنديهم عيون يشوفوا بيها العالم."

يامن؟

لم يكن فقط يضحك.

أنشأ فقرة "رسالة للمستقبل"، وجعل الأطفال يسجّلون صوتهم وهم يقولون ما يحلمون أن يكونوا عليه بعد 10 سنوات.

واحد قال:

"أنا حاكون دكتور عشان أعالج أمي."

رد عليه يامن:

"وإحنا حنحتفظ بالصوت دا... ونرسلو ليك في يوم تتخرّج فيه، يا دكتور."

في آخر اليوم، وقفت *مها* تقول:

"المرة دي... حسّيت إننا بنزرع ونعرف كيف نسقي كمان."

وردّت *شهد*:

"وإننا ما بس غيرنا الأطفال... غيرنا نفسنا."

ضحك *أحمد* وهو ينظر إلى الجدول المنجز بإتقان:

"وما في حاجة كانت ممكن تحصل كدا... من غير اللي حصل في الشركة."

_____

مرّ عام.

بين الاجتماعات في المقهى، التدريب، التجارب، والتحديات،

كبر الفريق ببطء... لكن بثبات.

كانت إدارة أحمد للفريق متميزة فقد نجح في إنقاذ الفريق من الانهيار عدةمرات باتخاذ تدابير سريعة وذكية ومدروسة بدقة كان حارس النور بأمتياز، ليس أحمد فقط بل جميعهم حتى الذين ابتعدوا.

وفي يوم مشمس من ربيع جديد،

جلس *د. عارف* وسطهم يقرأ تقارير البرامج:

"أنتم لم تعودوا كما كنتم...

أنتم الآن مؤسسة صغيرة بروح حلم كبير."

عادت البرامجوالأنشطة من جديد، لكن هذه المرة بشكل *مطوّر، مدروس، ومتين*.

كانوا نفسهم، لكن بخبرةعام، وجراح تعلّمت كيف تلتئم دون ضجيج.

"دي مش نهاية... دي بس بداية نضج."

حفل التكريم – قاعة متوسطة وأنيقة، مزينة ببساطة ودفء.

زهور بيضاء وصفراء، صور الفريق تُعرض على شاشة كبيرة، وضحكات الأطفال تملأ المكان في الخلفية.

حضور مميز: إدارات المدارس، بعض أولياء الأمور، داعمون، وأصدقاء الفريق.

بدأ الحفل بكلمة ترحيبية من إحدى المعلمات:

"نحنا ما جينا نكرّم فريق عادي... جينا نحتفل بولادة أمل جديد في عقول أطفالنا."

ثم صعد *د. سامي*، بابتسامته الهادئة:

"الناس ديل... مشوا لمدارس ما كان فيها غير الطباشير والتعب، وخلّوها أماكن فيها خيال. رسم، حكايات، تمثيل، علم... والأهم: محبة ووعي."

**عُرض فيديو يوثّق الرحلة: من أول نشاط، لحظة انهيار، أيام الشك، ثم التدريب، والانفراج.

المشاهد تُظهر تعبًا حقيقيًا... وضحكات صادقة.**

بعد الفيديو، بدأت لحظة التكريم:

كل عضو صعد اسمه، صعد معه طفل من إحدى المدارس، وقدّم له الدرع مع وردة وكلمة شخصية:

- *لـ شهد:* "عشان خلّيتينا نحب العلوم."
- *لـ أحمد:* "لأنك ما بتتعب في التصليح والتجهيز."
- *لمها:* "أجمل القصص كانت منك."
- *ليامن:* "ضحكتك كانت بتطمنّا."
- *لحسام:* "صورتك خلتنا نصدق إننا مهمين."
- *لنسيبة:* "عشان الحكايات اللي خلتنا نحلم."
- *لإحسان:* "كنا بنرتاح لما نسمع صوتك."

ثم... لحظة مهيبة:

ظهرت صورة *رفيدة* و*فارس* على الشاشة، والقاعة سكنت.

الأطفال وقفوا، رفعوا لوحات كُتب عليها:

"شكراً لأنكم ما نسيتونا... حتى لما مشيتوا."

ثم قُدمت دروع خاصة باسميهما. *نُسيبة* و*حسام* استلماها، والدموع تلمع في العيون.

واختتمت الحفلة بكلمة من أحد أولياء الأمور:

"نحنا كأهل كنا بنخاف من المستقبل لأولادنا... الفريق ده ما شال الخوف بس، دا شال الحواجز بين المدرسة والبيت، بين الفشل والمحاولة."

ثم...

وقف الفريق، صفّق الجمهور، وارتفعت اناشيد هادئة، بينما الأطفال ركضوا ليأخذوا صورًا مع "أبطالهم الحقيقيين".

_____

شهور من العمل مرت فريق سامر تتطور فالفريق نقل اليهم تجربة الشركة وتولى سامر نقل التجربة بدوره إلى الفرق الجديدة.

في تلك الفترة تلقى الفريق دعوة لتسجيل لقاء تلفزيوني في قناة محلية كونهم أصبحوا من المؤثرين في المجتمعِ.

الكاميرا على المشهد الصحيح

عنوان الحلقة: *نور صغير... قلب كبير*

البرنامج: *قلب المدينة*

المذيع: *مصعب رامي *

المكان: استوديو بإضاءة دافئة، جلسة دائرية غير رسمية، شاشة خلفية تعرض صورًا متتابعة من أنشطة الفريق.

(المقدمة – المذيع وحده، الكاميرا تقترب ببطء)

مصعب (بنبرة تأملية):

"في زحام المدينة... في زواياها القاسية... في ضجيج لا يرحم،

ظهر نور صغير... ما كان ضوء كاميرا،

كان قلوب قررت تحوّل الهم لعمل،

والألم لأمل.

حلقتنا الليلة عن شباب ما استنوا التغيير...

شباب بقلب كبير، تعبوا، واتعلموا، وقرروا ما يرجعوا إلا وراهم نور.

رحّبوا معانا بفريق المبادرات الصاعد *نحن جيل عرفات*!"

(تصفيق حار – دخول الفريق: أحمد، شهد، مها، يامن، نسيبة، إحسان، حسام، شاكر – كل منهم يُسلّم بود، ويجلس)

(المشهد – بداية الحوار)

مصعب (بابتسامة واسعة):
"يا جماعة، ما شاء الله... طاقتكم بتمشي مولد!
جد، نحنا تعبنا ننسّق معاكم عشان اللقاء،
شنو الحكاية؟ الفريق دا شغال في كم قارة؟"

أحمد (بهدوء وابتسامة):
"طاقتنا جاية من شغف ما بينطفي...
كل يوم نشوف طفل بيتغير...

كل بسمة من طفل كأنها بطارية جديدة لينا."

مصعب (بحماس):

"الكلام دا شحنني أنا ذاتي.

لكن خلونا نبدأ من الأول...: سؤال دايمًا بيجي من الجمهور:

من أنتم؟ الجمهور يعرف الأسماء فقط ... لكن ما القصة والاسم مميز حدثونا ؟ ."

أحمد (ينظر للفريق ثم للجمهور):

"نحن شباب...

قررنا ما نعيش بس لأننا اتولدنا ...

قررنا نكون فرق ونعيش للإنسانية .

نصنع أثر لطيف جميل .

نشيل الحِمل دا سوا.

فريق بيحلم بعالم أقل قسوة...

زي ما قال فارس:

نرفع ظلم... ننصر حق... وننهض بأمة. بدون تنافس او مقارنات دايما بتقارن نفسك بنفسك القديمة ودا معنى الاسم انك تعيش دايما وانت بتحاول تكون احسن وعالمك احسن.

والبداية؟ كانت من فكرة.

من رفيدة... من شارع... من دمعة طفلٍ.. من قلوب آمنت بنفسها بالتغيير والنهضة رغم كل الظلام دا."

(الكاميرا تقترب على وجوه الفريق – تعبيراتفخر وذكريات تمرّ)

مصعب (بدهشة):

"الحاصل دا ما شغل مبادرات عابرة...

الموضوع أعمق.

شنو الخطوة الأولى؟

وين كانت البداية الحقيقية؟"

يامن (بمزحة خفيفة وهو ينظر للكاميرا):

"كان يا مكان، في بنت اسمها رفيدة، شافت العالم كأنه ساحة فوضى...

أطفال بيضيعوا، أحلامبتتكسر، وحقوق ما لاقية ليها حارس.

قالت لا!

ما دام في قلب بيدق ولسان بينطق، ما حنسكت.

قررت تبدأ...

ما من فوق، من تحت... من الشارع، من الطفل، من الورشة الأولى...

ومن هناك بدأت الدوامة... وبدأنا نحنا معاها."

(ضحك خفيف من الفريق، نظرات تقدير)

مصعب (ضاحكًا وهو يشير ليامن):

"واضح يا جماعة إنو الزول دا كان مطحون في الميدان طحن... لدرجة حفظ الحكاية غيب!"

شاكر (مازحًا):

"دا عليه رقابة مشددة من زمان ."

مصعب:

"الجمهور احب فريقكم والتعليقات كترت اي شخص عنده سؤال يتفضل على موقع البرنامجالظاهر أسفل الشاشة !

طيب نسأل سؤال دايمًا الجمهور بيحب يعرفه:

المصاعب؟ المواجع؟ أكتر لحظة خلتكم تقولوا: يمكن ما نكمل

مها (بهدوء وصدق):

"أكبر تحدي واجهناه إنو شغلنا فكري... ما عندنا نتايج مادية فورية، وده بيتعارض مع منطق أغلب الداعمين، لأن المجتمع - للأسف - بيقيسالنجاح بالأرقام، مش التأثير مثلا انت حافظ كم؟ السؤال المفروض يتسأل انت فهمت وهل قادر تستفيد من علمك ؟

كنا عشرة شباب، والضغط كبير جدًا... كل واحد شايل أدوار مضاعفة.

بنشتغل، وبنرجع نشتغل عشان نغطي احتياجات المبادرة.

د. سامي كان حجر الأساس... ما كان مجرددداعم، كان بيصدق فينا حتى في اللحظات اللي نحنا شكينا في نفسنا.

ود. عارف، كان بيذكّرنا دايمًا إنو الطفل ما مشروع صغير، الطفل هو البذرة... لو زرعتها صح، بكرا بيكون الوطن بخير."

(لحظة صمت قصيرة... شعور صادق يملأ الأستوديو)

مها (تكمل بابتسامة بسيطة):

"كنا بنسمع تعليقات جارحة... ناس قالت لينا: انتوا عديمين موضوع وانتوا منافقين وانتوا عندكم كِبر ومجانين ؟ واوصاف كتيرة

لكن نحنا كنا شايفين إنو ده مش تفضُّل، ده واجب.

كل مرة طفل يبتسم، أو يتكلم بثقة، أو يسأل سؤال بعيون لامعة... بنحس إنو تعبنا كله اتكافأ."

مصعب (بإعجاب صادق وهو يمازح):

"انتو جايين من كوكب مثالي؟ ولا من العصور الذهبية؟"

يامن (ضاحكًا):

"كنا شغّالين كأننا في قرون الإصلاح، رقابة داخلية وخارجية، بس بنضحك ونكمل... لأنو دا الطريق."

مصعب (وهو يضحك):

"طيب ننتقل للي شاف الحكاية من خلف الكاميرا... حسام، المصور الفنان، إحكي لينا الصورة كانت كيف؟"

حسام (بهدوء وثقة):

" أهلًا وسهلًا وشكرًا على الاستضافة.

أنا كنت خلف الكاميرا،لكن كنت شايف الصورة كاملة قدامي.

كنت بشوف شباب بيشتغلوا في صمت، بيضحّوا بوقتهم وجهدهم، مش بس عشان يساعدوا... عشان يبنوا.

كنت بصور أبطال... وأيوه، أبطال بحق، لأنهم قاتلوا لأجل الخير في زمن الناس تعودت تقاتل بس لنفسها.

كل واحد فيهم كان عندهحكاية، وكل لقطة كنت بآخدها كانت بتحكي جزء من قصة الصمود دي.

ما كان شغل عادي، كان توثيق لحلم قاعد يتحقق قدامي."

يامن (ضاحكًا):

"سامع يا أحمد؟ قال يامن من الأبطال! بعد كده تخففوا الرقابة شوية."

حسام (ضاحكًا):

"نعتذر للمشاهدين الأعزاء... يامن خارج عن السيطرة في أي وقت ومكان، ولا بنقدر نتحكم فيه!"

يامن (مبتسمًا):

"أحمد ما تعاين لي كاني مذنب... التوثيق اساسا فضحنا كلنا!"

(ضحك عام)

مصعب:

"والله لغيتوا دوري كمذيع... لكن مستمتع فعلاً. خليني أسألكم بصراحة: ليه انتوا كده؟"

شهد (بهدوء وصدق):

"لأننا من البداية اخترنا نكون صادقين... مع نفسنا، مع بعض، ومع الناس.

الرسالة كانت واضحة من أول يوم: الإنسان مسؤول... مسؤول عن النعمة اللي عنده،عن الأرض اللي واقف فيها، عن اللي أصغر منه واللي أضعف منه.

ما بنشتغل عشان نكون مثاليين... بنشتغل عشان نكون صادقين."

مصعب (ضاحكًا):

"ما محتاجين مذيع في الفريق... جهزوا لي الكرسي!"

يامن:

: "بس جهز روحك للشغل الحقيقي بعد الكواليس!"

مصعب:

"قبل ما الوقت ينتهي، عايزين نعرف: بعد كل ده... ماذا بعد؟"

نسيبة:

"بعد كل خطوة، في خطوة أكبر. ما في سقف. هدفنا النهائي... إن الإنسان يعيش بكرامة، نتيجة وعيه برسالته وقيمته.

ودا ما بيحصل فجأة... بيبدأ من طفل، من فكرة،من فريق صغير مؤمن."

مصعب (بحماس):

"معانا على الخط فارس، أهلاً وسهلاً... نختم برسالتك."

فارس (بصوت هادئ ممتن):

"شكراً ليكم... وشكراً للفريق.

الدرب طويل ولسه في تحديات، لكن نحن ما ننتظر الفجر... نحن بنسعى له، وحنوصله بإذن الله."

:

مصعب (بابتسامة ممتنة):

"الزمن انتهى للأسف، لكن قبل ما نختم... رسالة من رفيدة، إلى الصامدين، إلى كل من لم يكتفى بالفرجة والسكوت..."

رفيدة (بصوت مسجّل، هادئ وحازم):

"لابد أن تهبّ رياح السنن لأولئك الذين لم يكتفوا بالانتظار...

الخير آتٍ، بإذن الله... لكن لا يأتي وحده، نحن نمهد له الطريق."

مصعب:

"شكراً لكل أعضاء الفريق... شكراً للنور اللي زرعتوه وسط الزحام.

نتمنى لكم التقدم والنجاح، وننتظر عودتكم مع قصص جديدة من التغيير الحقيقي.

أعزائي المشاهدين، شكراً لطِيب المتابعة، نلقاكم في حلقات قادمة من *قلب المدينة*.

مع السلامة."

(تصفيق... تُعرض صور من نشاطات الفريق: أطفال يبتسمون، أيادي صغيرة تزرع، فريق يعمل في الميدان... وشاشة سوداء تُكتب عليها: "نحن مستمرون")

أحمد، قرب بوابة الخروج هو يضحك، يضرب يامن بخفة على قفاه:

"ولد... ما بتقعد ساي؟!"

يامن (ضاحكًا):

"دايرين حلقة كاملة عن الرقابة بعنوان دع يامن يتنفس قليلا ! "

(عصرا ، بعد انتهاء التصوير والظهور التلفزيوني، خرج الفريق إلى متنزهادئ بالقرب من الاستوديو. النسيم عليل، والمكان بسيط، لكنه يحمل من الراحة أكثر مما تحمله القاعات المكيّفة.)

جلسوا على العشب بعد يوم متعب، أكواب القهوة في أيديهم، والضحك الخفيف يتسلل بينهم. فجأة، رن هاتف *شهد*، وعندالرد ظهر صوت *رفيدة*:

رفيدة (بحماس وابتسامة في صوتها):

"ما شاء الله عليكم... الحلقة طلعت من القلب! حسّيت كأني كنت جالسة جنبكم جوة الاستديو."

شهد:

"كنا بنتمنى تكوني معانا... المشهد ناقص بدونك."

رفيدة:

"لا، ما ناقص... أنا حسّيت إنكم مليتوا المكان نور. كل كلمة قلتوها كانت بتتكلم عنّنا من غير ما تقولوا ."

فارس (دخل على المكالمة بضحكة):

"أنا بس ما فهمت، ليه ما رسلتوا لي البدلة الرسمية؟ أنا كمان كان ممكن أطلع في الشاشة بِطلة!"

ضحكوا جميعًا.

يامن:

"والله يا فارس، نحن حافظنا على هيبتك. لو طلعت، كان خطفت الأضواء مننا كلنا."

مها:

"بس فعلاً الحلقة أثرت فينا نحنا ذاتنا، خلّتنا نراجع الطريق كله... التعب، السهر، أول يوم ورشة، أول طفل يبتسم."

إحسان (بصوت هادئ):

"عارفين اللحظة لما تحس إنو التعب كان له معنى؟ الحلقة عملت كدا بالضبط."

فارس:

"والمعنى دا... ما فيهو شهرة ولا تصفيق. فيهو بس إنك تكون سبب صغير في تغيير كبير."

رفيدة (بصوت منخفض لكنه ثابت):

"لما شفتكم... صدّقت إنو الخير بيتراكم. بيتنقل من قلب لقلب، من فكرة لصوت، من طفل لقائد.

البرنامج دا ما عرّف الناس بينا... عرّفنا نحنا بنفسنا."

حسام:

"سبحان الله، ما حسّيت إنو الحلقة انتهت... حاسسها لسه ماشية، فينا نحنا."

أحمد:

"أيوه... وزي ما د. سامي قال: (الضوء ما بيخلص... بس بيتنقل من يد ليد)."

شهد:

"خلونا نوثق دا... الصورة دي بعد البرنامج، ما لازم تتنسى."

(رفعوا هواتفهم والتقطوا صورة جماعية.

وجه *يامن* في الخلفية وهو يصرخ: "رفيدة! فارس! قولوا تشيز!")

الصورة خرجت مهزوزة... لكنها جميلة، مثلهم تمامًا.

فارس (وهو يغلق الاتصال):

"استمروا... خلوا الحلم ما يرجع خطوة لورا."

رفيدة:

"وخلوني دايمًا أكون فخورة... إني منكم ومعاكم ."

(انتهت المكالمة... لكن بقي صداها في قلوبهم.)

.١٠

حين يعود الغائب

عادت *رفيدة* بعد عامٍ وشهرين من الغياب.

كانت تتوق للقاء... لكنها لم تكن تتوقع أن تجدهم بهذه الصورة: ناضجين، متقدّمين، يسبقونها بخطوات كثيرة.

جلست بينهم لأول مرة منذ كل هذه الشهور، وكل شيء بدا مألوفًا... لكنه ليس كما كان.

لم تكن تدري متى بدأ قلبها يضيق بهذا الصمت الداخلي، ومتى بدأ الحزن يتسلل، هادئًا، لكنه عميق.

كانت تتابع أحاديثهم عن البرامج والتقارير والتخطيط، بعينٍ قلقة.

كل شيء يبدو أعقد مما تركته .

***

بعد الاجتماع، همس *حسام* لـ*أحمد* و*شهد*:

"رفيدة ما مرتاحة... حاسة إنها متأخرة عن الركب."

ردّت *شهد* فورًا، وقد التقطت نظرة *رفيدة* الشاردة:

"لازم نعمل حاجة... ما بنخلي حد مننا ينكسر."

اجتمع الفريق في اليوم التالي وأعلن *أحمد* القرار:

"رفيدة، قررنا ندخلك كورس ضاغط لمدة ٣ أسابيع.
مش علشانك متأخرة... علشانك منّا، ومكانك محفوظ."

نظرت إليهم، في عينيهاامتنان عميق.

إحسان:

"حنكون معاكي خطوة بخطوة. ما حنخليكِ وحدك."

يامن (ضاحكًا وهو يرفع جدولًا ممتلئًا):

"دا جدول جهنمي... بس والله حتحبي العذاب دا معانا!"

ضحك الكل... وهي، لأول مرة منذعودتها، شعرت أنها تُرى.

***

في الأيام التالية، بدأ السباق.

جلسات مكثفة، مراجعات، اختبارات،تطبيقات، ونقاشات ليلية.

أحيانًا تنهار، أحيانًا تنهض بقوة.

لكن في كل لحظة كانت تجد من يقول لها:

"لسّه قدامك كتير، ولسّه إحنا معاك."

وفي نهاية الأسبوع الثالث، سلّمها *د. سامي* ورقة بسيطة، كتب فيها:

"بعضنا يتقدم ليصنع الطريق، وبعضنا يعود ليجد الطريق قد صار أوسع... لكننا نمشي فيه معًا والجهة واحدة."

كانت الساعة تقترب من الخامسة عصراً، والمقهى الصغير المملوء برائحة البن والكتب القديمة، قد صار ملاذًا للفريق من ضجيج الحياة.

جلس الجميع حول الطاولة المعتادة، لكن الوجوه لم تكن كالسابق.

رفيدة تجلس وتضغط أطراف أناملها، تحدق في ما بين يديها من المخططات.

أحمد يقلب دفتر ملاحظاته بصمت، و*حسام* يتفقد تقارير التمويل، بينما *شهد* و*إحسان* تنظران لبعضهما بحذرٍ يشبه قلق الأمهات.

ثم دخل *د. سامي*...

هدوءه لا يخفي الهمّ، وابتسامته هذه المرة كانت ثقيلة.

وضع ملفًا على الطاولة، وقال بنبرة واضحة:

"أولًا.. أنا فخور بيكم جدًا. لكن جا وقت الكلام الحقيقي."

يامن (بنبرةخفيفة يحاول كسر التوتر):

"هو الكلامدا حيكون قبل القهوة ولا بعدها؟ عشان لو صدمة نعرف نشرب الأول."

ابتسموا، لكن دون ضحك.

كان الجميع يشعر... أن هناك شيئًا قادم.

د. سامي:

"التمويل مستمر... بشرط.

الشركة الداعمة عايزة مشروع تطبيقي ضخم، واضح الأثر، خلال شهرين فقط.

ولو ما حصل، سنُصنّف كفريق غير مؤهل للمرحلة القادمة."

كأن أحدهم أغلق الهواء.

مها (بهدوء):

"يعني نمشي ولا نطير؟"

نسيبة:

"نطير... بس بخريطة."

أحمد (يحاول استيعاب):

"عايزين نثبت كل حاجة اشتغلنا عليها... ونقدّم أثر حقيقي؟"

حسام:

"أثر... في زمن ضيق... وبموارد أقل."

رفيدة (بصوت خافت فيه وجع):

"أنا ما زلت بتعلم، وكل مرة أحس إني بتأخر أكثر وبأخركم وجات مشكلة بتتعلق بالزمن ..."

شهد:

"رفيدة، إنتِ كنتي بتحمينا بصمتك سنين... الآن دورنا نسندك.مافي تأخير دي معركتنا كلنا."

إحسان (بصوت ثابت):

"مشروعنا القادم يبدأ من الوفاء، مو بس الفكرة."

قال *د. سامي:*

"عندي مقترح مبدئي... لكن القيادة ليكم. المشروع المقترح بعنوان:

"أن تكون إنسانًا".

محاوره:

- دعم نفسي وتعليمي للأطفال
- تدريب الأهالي على التواصل الأسري
- إعداد شباب للقيادة المجتمعية
- فيلم وثائقي عن الرحلة

احساس الإرهاق وتعب نفسي كان يسيطر عليهم

يامن (وقد نهض فجأة بجرأة):

"والله يا جماعة لو ما خلتونا نغيّر الحي دا للأفضل، يبقى بنضحك على روحنا ."

أضف بحنين

"ياريت لو كان في فارس اشتقت ليه"

ثم أضاف مازحًا:

"وبعدين ما تبكوا، رفيدة بقت أخطر مننا بعد الكورس، أنا بديها دوري قريب!"

ضحك صغير تبعه صمت مؤثر.

رفيدة نظرت إليهم جميعًا، وشيء من الضوء عاد لعينيها.

رفيدة:
"أنا ما بخاف من التأخير... بخاف أني أكون سبب بطء الفريق.
لكن الليلة، لو وافقتوا، أبدأ أشتغل على محور الأطفال."

د. سامي (بهدوء):
"المشروع دا مش بس إنقاذ... دا اختبار. والاختبارات ما بتجي بدون حكمة."

بدأ التوزيع الأولي للمسؤوليات، العقول تتحرك، القلوب تتأهب...
لكن ما لم يعرفوه بعد، أن هذا المشروع لن يكون مجرد عمل...
بل امتحان حقيقي لأحلامهم، وصدق نواياهم، وثباتهم على الطريق.

١١.

الفكر يتبعه عمل

لم يكن هناك وقت للشكوى، ولا مجال للتراخي.

منذ لحظة الإعلان عن التحدي، تحوّلت الطاولة في مقهى "كافيين أثر" — الذي يديره أحمد وحسام — إلى خلية نحل لا مزاح، لا محادثات جانبية. فقط دفاتر، حواسيب، سبورات صغيرة وأكواب قهوة لا تتوقف.

اليوم الأول

أحمد يرسم الهيكل العام على السبورة:

– "محور الأطفال: رفيدة، شهد، نسيبة."

– "محور الأسر: إحسان، مها."

– "محور الشباب: حسام، يامن، وأنا."

_"شاكر:تنسيق عام ومتابعة جدول الزيارة "

– "التوثيق والإخراج: حسام ويا من يتناوبوا."

شهد:

"رفيدة، نبدأ بإعداد دليل للأنشطة النفسية؟ ولا نحصر المشاكل الشائعة أول؟"

رفيدة (وقد فتحت دفاترها القديمة):

"نبدأ بالمشاكل، وبعدها نصمم أنشطة علاجية موجهة. نعملها بطريقة قصة ومسرح."

نسيبة:

"وأنا أعد قاعدةبيانات لقصص مؤثرة من الواقع... لازم يكون في رابط عاطفي."

اليوم الثالث

إحسان (تنظر في شاشة الحاسوب):

"عملنا استبيان إلكتروني، ووزعناه على الأهالي في المدارس المجاورة."

مها:

"ولقينا أن أغلب التحديات تتعلق بضعف التواصل مع المراهقين... هذا مدخل مهم."

أحمد:

"ممتاز. نعمل لهم جلسات مصغرة... نستخدم فيها محاكاة ولعب أدوار."

اليوم السادس

حسام (منهمك في تعديل ملف العرض):

"لازم تكون لغة البرزنتيشن واقعية. مش تنظير. بنخاطب أهل، مش أكاديميين."

يامن (يراجع مقطع فيديو):

"صورنا اليوم قصة طفل متفوق رغم بيئة صعبة... أنا صادق يا حسام، الفيديو يوجع."

حسام (بابتسامة متعبة):

"لأنو الحقيقة هي أقوى قصة."

اليوم العاشر

رفيدة (ترفع عينيهامن الأوراق):

"أنا حاسة كأني بتعلم أكتر مما بشتغل... بس كل لحظة فيها حياة."

نسيبة:

"دا أجمل ما في الشغل... لما يتغير فينا شيء حقيقي."

شهد (بصوت منخفض):

"نشتغل كأن الحي دا أمانة في رقبتنا."

اليوم الرابع عشر

أحمد:

"نراجع النتائج، ندمج الجهود، ونعمل تجربة ميدانية بسيطة."

يامن (يمد رأسه من خلف اللابتوب):

"بس بشرط... بعد الشغل في شاورما؟ ولا برضو دا ضمن 'التقشف'؟"

ضحك خفيف انطلقوا في العمل

انتهت الأوراق، امتلأتالملفات، وتم اختبار كل شريحة وكل فكرة. لكن الآن، حان وقت الحقيقة.

السبت صباحاً

في ساحة المدرسة التي لطالما بدأت منها الحكاية، عاد الفريق، لكن هذه المرة، لا يحملون أحلاماً فقط، بل يحملون برنامجاً كاملاً .

رفيدة (تتنفس بعمق وهي تنظر للبوابة):

"أخيرًا... حان وقت التجربة."

أحمد (بهدوء):

"الشغل في الورق كان ضغط... لكن الميدان؟ دا اختبار القلب."

شهد (ترتب الكتيبات):

"والنية. النية لسه صافية؟"

يامن (وهو يركّب الكاميرا):

"أيوة... وأكيد الكاميرادي حترصد حاجة تستحق."

انطلقت الورش:

1. مجموعة الأطفال

تولتها رفيدة ونسيبة وشهد.

– روايات تفاعلية.

– لعبة "العجلة النفسية" لفهم المشاعر.

– زاوية الرسم "ارسم حلمك".

طفلة تمسك يد رفيدة:

"ممكن أجي كل يوم؟"

رفيدة (بحنان):
"لو البرنامجنجح."

2. مجموعة الأهالي
مع إحسان ومها.

– تمثيل مواقف حياتية.
– تمارين في التواصل.
– حوار مفتوح بلا أحكام.

إحدى الأمهات:
"أول مرة أحس إنو في حد بيسمعني."

3. مجموعة الشباب
مع أحمد، حسام، يامن.

– أنشطة تحفيز.
– دوائر نقاش.

– تدريب على القيادة المجتمعية.

شاب يهمس لأحمد:

"عمري ما توقعت أتكلم قدام ناس... شكراً."

نهاية اليوم الأول

د. عارف حضر في ختام الفعاليات، وابتسامته تحكي كل شيء.

د. عارف:

"اليوم، ماشفت ورش فقط... شفت مشروع وُلد من صدق.

أكتر من التدريب... أنتو بديتو تصنعوا أثر."

في المساء بمقهى كافيين أثر

جلس الفريق، متعبين، بملابسهم الملطخة بالألوان، وجيوبهم شبه فارغة... لكن عيونهم تلمع.

حسام:

"لسه البداية، ولسه التمويل مش مضمون... لكن إحساس اليوم؟ priceless."

يامن (رافعًا كوب الشاي):

"دا طعم النجاح يا جماعة... بنكهة تعب ورضا"

رفيدة (تنظر إليهم وتبتسم):

"يمكن لأول مرة... أحس إني ما بتسبب في تأخيركم بسبب ادارتكم الحاسمة للكراش كورس، الحمد لله اننا قدرنا ."

نسيبة: بابتسامة

"دا إنتي عصب اليوم."

أحمد:

"وأي تعب، مدفوعمقدماً، بقلب حقيقي."

> *وفي زاوية المقهى، جلس الأثر ..لا يُرى، لكنه كان واضحًا في عيونهم.*

.١٢

حين تصبح الإنسانية قناعا لقتل الإنسانية

مرّ شهر وثلاثة اسابيع من العمل الجاد، والتطوير المتواصل، حتى بدأت نتائج الفريق تُزهر على أرض الواقع رفيدة غادرت البلاد لاستكمال السنة الثانية والأخيرة في المنحة .

الأطفال أكثر تفاعلًا، أولياء الأمور يرسلون كلمات شكر، وبعض المبادرات بدأت تلقى صدى في محيط أوسع.

صفحة الفريق صارت تضم آلاف المتابعين، والتقارير المصوّرة لحسام، وكاميرا يامن المشاكسة، وتنسيق مها وإحسان ونسيبة، كلها تصنع حالة مختلفة من التغيير الإيجابي.

ذات صباح، وصل الفريق رسالة غريبة عبر البريد الإلكتروني الرسمي.

رسالة قصيرة، لكن نبرتها كانت مشوّشة:

> *"لكل شيء وقت. ومضة الضوء حين تتجاوز حدّها، تُطفأ لا تجعلوا من الحماس دربًا للغرور لستم آمنين."*

في البداية تجاهلها الفريق، لكن لم يمضِ كثير من الوقت حتى بدأت *بوادر التحدي الحقيقي تظهر*.

ظهر في المشهد اسم جديد:

"سيدة تُدعى رُبى العلي، صاحبة مبادرة مشابهة، ذات صلات نافذة في مؤسسات المجتمع المدني."

بدأت تُقلل من جهود الفريق بشكل غير مباشر في وسائل الإعلام،وتنتقد "أسلوبهم العاطفي" وتصفه بـ"الاستعراضي والمراهق".

في لقاء تلفزيوني، قالت:

> *"العمل المجتمعي ليس دراما... هؤلاء الهواة الجدد، سيختفون كما ظهروا."*

كان الصدى قاسيًا، و*الفريق لأول مرة بدا مهتزًا*، خصوصًا أن إحدى الشراكات المحتملة انسحبت دون توضيح.

د. سامي اجتمع بالفريق مساءً في مقهى أحمد وحسام، وقد بدا عليه الهدوء رغم توتر الوجوه:

– *"ما يُبنى على نية خالصة، لا يُهزّ بكلام. هذا وقت الوعي، مش وقت الرد."*

أحمد ضم كفيه:

"بس الكلام بيوجع... نحنا اشتغلنا بصدق."

نسيبة بصوت متماسك:

– "لكن الصدق ما بيحتاج يبرر نفسه."

يامن، رغم الجدية، حاول التخفيف:

– "يعني لو عايزة تعمل حرب إعلامية، أنا جاهز أطلع فيديو رد ناري، تحطوا ورايا نار مشتعلة."

ضحك خفيف سرى في الجلسة، لكن التحدي كان حقيقيًا.

في الخلفية، كانت *رفيدة* تتابع من بعيد، تحاول جمع تقارير لدعم الفريق، ترسل تحليلات وتوصيات، رغم انشغالها بدراستها، وكتبت في إحدى رسائلها:

> *"الابتلاء في الطريق مش ضعف، هو غربال. انتبهوا، أنتم الآن تحت نظر كثيرين... فكونوا أكبر من الضجيج."*

وهكذا...

دخل الفريق في *أصعب اختبار حتى الآن*:

أن لا يُقابلوا النيران بالنيران، بل أن يثبتوا بجودة ما يُقدّمونه أن القصة لم تكن مجرد حماس... بل مشروعٌ للحياة.

لم تمضِ أيام قليلة على اللقاء التلفزيوني، حتى ظهرت *رُبى العلي* بشكلٍ مباشر في الساحة الميدانية.

زارت نفس المدرسة التي يعمل بها الفريق، وتحدثت مع الإدارة، وقدّمت عروضًا مغرية بالدعم المادي والبرامج الجاهزة.

انتشر الخبر بسرعة، وتلقّى الفريق إشعارًا من إدارة المدرسة بتعليق التعاون مؤقتًا لحين "إعادة تقييم البرامج".

في اجتماع طارئ داخل المقهى، كانت الأجواء متوترة.

إحسان (بقلق):

– "يعني انتهى كل تعبنا كدا؟ بسهولة؟"

أحمد (منفعلاً):

– "الناس ما بتعرف الحقيقة، بتسمع الاسم الأكبر، والعرض الأعلى... وخلاص."

حسام:

– "لكن الناس شافتنا، شافوا شغلنا، شافوا التغيير..."

مها (بهدوء):

– "لكن الكلام الطيب ما بيكفي لو في ناس بتضغط من فوق."

في خضم هذا التوتر، دخل *فارس* فجأة، عائدًا من سفره الطويل الذي كان يجب أن يكون قصير جدا واستمر لأكثر من سنة.

وقف لحظة على الباب، قبل أن يبتسم وهو يقول:

– "واضح إنو فاتتني حفلة كبيرة..."

دهشة تلتها ضحكات مفاجئة خففت التوتر.

سارعوا إليه الشباب بالعناق والكلمات الممزوجة بالعتب والفرح.

فارس (بعد أن عرف ما حدث):

– "يا جماعة، نحنا ما بدينا المشروع دا عشان نكسب سباق، بديناه عشان نزرع تغيير... واللي بيزرع، بيحتاج صبر، ما منصات."

لكن المشكلة لم تقف عند هذا الحد.

ربى العلي ظهرت مرة أخرى، هذه المرة في منشور على صفحتها الرسمية، مرفقًا بصور من أنشطة الفريق، وكتبت:

> *"حين يتسلّى بعض الهواة على حساب أطفال المدارس، فالأولى أن يُعاد ترتيب المشهد!"*

هنا اشتعلت المشاعر.

يامن (غاضبًا):

– "والله لو ما ماسك نفسي... دي بتقلب الحق باطل."

شهد (تحاول التهدئة):

– "خلونا نرد بالعقل، ما نجرّ أرجلنا لطين الغيرة."

في تلك اللحظة، *د. سامي* أطلّ بهدوئه المعتاد.

نظر إليهم جميعًا وقال:

– "أنا كنت متابع... وكنت ساكت عن قصد. الآن، اتركوا هذا الملف لي. أنتم عندكم مشروع حي ..لا تخلوه يموت في شبر خلاف."

صمت الجميع.

رفيدة أرسلت تسجيلًا صوتيًا من مكان دراستها:

> "في زمن التشويش، أفضل صوت هو العمل. ربنا يثبت قلوبكم، وما تشتتوا... ركزوا، ربنا يوفقكم."

وهكذا قرر الفريق:

ترْك أمر رُبى العلي بالكامل لـ د. سامي، والعودة للعمل، بنفس الصفاء الأول، ولكن بوعي جديد.

لم تكن هذه النهاية...

بل بداية فصل جديد أكثر صلابة، لأنهم عرفوا الآن:

النجاح الحقيقي لا يُصفّق له الجميع... بعضهم يضرب على الطبول ليغطي عليه.

.١٣

من السجن إلى الخزائن

هذا الجزء اهداء إلى كل د. سامي ولو تغير الاسم

"أرجوك لا تفلتنا او تلتفت عنا"

في أستوديو تلفزيوني واسع، تحت أضواء هادئة، جلس د. سامي.

لم يكن اللقاء إعلاميًا عاديًا، بل لحظة نضجٍ وقوة... لحظة توثيقٍلحلمٍ قاوم حتى نبت على أرضٍ متشققة.

المذيعة:

– "دكتور سامي، هناك من يصف مسيرتكم بأنها معجزة صغيرة وسط واقع صعب. ما السر؟"

د. سامي (بصوته العميق، ونظرته الواثقة):

– "السر؟ النية.

لو ما كانت القلوب معلّقة بالله، كان أول ريح أسقطتنا.

وما مرينا به في الأشهر الماضية ما كان بسيط.

لكن تعلمتُ شيء: السجون مش دايمًا من حديد. أحيانًا تكون في قرارات، في أقلام، في نفوذ يُراد به كسر العزيمة.

لكننا اخترنا نكون كيوسف، ما نخرج من محنتنا إلا ونحن على خزائن التغيير."

يُعرض مقطع لأطفال المدرسة، يهتفون في الباحة الخلفية:

> *"الفريق يرجع... يرجع!"*

> *"إلا هم ..لا تعليم بدونهم!"*

أولياء الأمور بدأوا يرسلون خطابات متتالية إلى الإدارة، البعض يهدد بتصعيد إعلامي،والبعض الآخر يُلوّح بتقديم شكاوى مباشرة إلى الوزارة.

في مكتب المديرة، تسود الفوضى...

المديرة (بقلق):

– "أنا لا أستطيع المواصلة بهذه الضغوط... الهاتف لا يتوقف، والطلاب يرفضون بعض الحصص!"

أحد الأعضاء:

– "ربى العلي وعدتنا بنجاح البديل... لكن الواقع أثبت العكس. الأمور خرجت عن السيطرة."

وراء الكواليس... مكائد"ربى العلي" تتكاثر.

• تواصلت مع بعض الداعمين سرا لإقناعهم بأن الفريق لا يلتزمبالمعايير الرسمية.

• نشرت تقارير مفبركة عن تجاوزات في الإدارة الداخلية للفريق.

• سعت لتأليب أولياء الأمور على الفريق بزعم أنهم يغرّون أبناءهم بمفاهيم "غير منضبطة".

• حاولت بث شائعات تمس سُمعة حسام، وإحسان، وتلميحات خفية ضد شهد.

لكن المفاجأة أن تلك المكائد *انقلبت عليها*.

كل محاولة كانت تقابلها *موجة من الدعم الشعبي، وبيانات تضامن، وتعليقات تقول:*

> *"من يحارب هذا النور... ليس إلا عدوًا للضوء."*

أما الفريق، فكان يجتمع في مقهى أحمد وحسام...

لا صوت يعلو فوق صوت العمل، التخطيط، والتمسك بالأمل.

أحمد:

– "كل ده بيأكد لنا إنو الطريق صح... الهجوم دليل إننا بنوجع الفساد."

يامن (نصف ضاحك):

– "يا جماعة، نحنا بقينا نخوف ربى العلي أكتر من الوزراء!"

مها (بابتسامة قوية):

– "بس ما نخليها تجرّنا لساحة معاركها... معركتنا الحقيقية ضد الجهل والتهميش، ما ضد شخص."

نسيبة (بحزم):

– "نردّ بالنجاحات، ما بالكلام."

بقية الأعضاء صامتون يفكرون في ما يمكن فعله

القرار يعود من المدرسة: الفريق يُعاد بشكل رسمي... بل ويتم الاعتذار له في مذكرة داخلية.

حين وصلت الرسالة من المدرسة، صمت أحمد لثوانٍ قبل أن يقرأها بصوتٍ مرتجف... ثم انطلقت شهقة صغيرة من شهد، وضرب يامن الطاولة بحماسة مكبوتة.*

ذلك اليوم، لم يكن كأي يوم.

رفيدة، التي تتابع بصمت، أرسلت صوتية قصيرة للفريق:

> *"لا تستهينوا أبدًا بالصبر. يوسف ما خرج من السجن إلا لما صار مستعدًا لحمل الأمانة. وأنتم... خرجتم بحكمة أكبر."*

وفي نهاية الحلقة، قال د. سامي:

– "نحن لا ننتظر التمكين،بل نستحقه. ومن يُؤذى في سبيل النور... فليبشر بأن الله معه."

لكن تلك المكائد لم تكن النهاية...

بل كانت *بداية تصعيد خطير*.

في إحدى الليالي، تلقى أحمد رسالة على هاتفه من رقم مجهول:

"إما أن تبتعدوا عن المدرسة... أو ندفعكم دفعًا."

لم يكن وحده.

يامن تلقى رسالة مشابهة، لكن أخطر... كانت تتضمن صورة لأخته الصغيرة وهي خارجة من المدرسة، تحتها تعليق:

"أنت تعرف أننا نراك. اللعبة انتهت."

اجتماع طارئ للفريق، خلف باب مقهى أحمد وحسام:

إحسان (بصوت مضطرب):

– "دي ما مزحة... ده تهديد مباشر."

حسام (بعينين ناريتين):

– "لو هددونا شخصيًا، يبقى بقينا قريبين جدًا من الحقيقة اللي بيخافوا منها."

نسيبة (بهدوء يشوبه القلق):

– "لكن ما نتهور... لازم نحتاط، ونخلي في خطة لحماية بعضنا."

**

ثم جاءت الذروة... محاولة اختطاف.

كانت *شهد* في طريقها للمنزل مساءً، حين توقفت سيارة سوداء فجأة بجوارها، حاول رجلان دفعها للداخل، لكن *صرختها القوية* وجموع الناس حولها أجبرتهم على الهروب.

في اليوم التالي، جلس الفريق متماسكًا، وإن كانت ملامحهم شاحبة...

رفيدة (في تسجيل صوتي عاجل):

– "أنا على تواصل مع بعض الجهات القانونية هنا... ما تسكتوا، بلغوا فورًا. القصة دي لازم تُفضح."

د. سامي، بعد اطلاعه على التفاصيل، اتخذ موقفًا حاسمًا في البرنامج التلفزيوني:

– "من يحارب المعرفة بالتخويف، لا يختلف عن من يحارب الأنبياء بالعنف.

إن أرادوا أن نسكت، فهم واهمون.

الأبطال لا يُخطفون... يُضاعَف لهم الدعاء، وتشتعل لأجلهم القلوب."

وفي الخلفية، تُعرض مشاهد توثّق رفض المجتمع لأساليب الترهيب، ومطالبات موسعة من الإعلام بحماية الفريق.

أدركت *ربى العلي* أن الأمر أفلت من يدها، وبدأت الأمور تتغير...

ووسط هذا الظلام، لم يتوقف الفريق عن العمل. بل قال أحمد يومًا:

– "كل ده ؟ التاريخ بعيد نفسه

سُجن يوسف رغم إمكانياته ... لكن خرج على الخزائن، وإحنا خرجنا على حلم أكبر السجن ."

السُنة ان يحمى الحق

لا يكفي ان يكون الحق حقا لينتصر

"إلى كل رائد كامن دع عنك الكمون

لا بد من رأئد، لا بد أن تُحمى الحقيقة"

بينما اشتدتالعاصفة، وازداد الضغط النفسي على الفريق بعد التهديدات ومحاولة الاختطاف، لم تكن كل الأبواب مغلقة.

في مساء هادئ، دخل *د. سامي* على الفريق وهو يحمل هاتفه، وجهه ساكن لكن عينيه تحملان بشرى.

د. سامي (بصوت هادئ):

– "وصلتني رسالة... من شخص ما كنت أتوقع تدخله."

أحمد:

– "منو؟"

رفع د. سامي الهاتف، وقرأ بصوت جهير:

"أخي سامي، علمت بكل ما يحدث للفريق، ولن أقف متفرجًا. أنا العقيد رائد، ابن خالتك، وأقسم أن هؤلاء الشباب سيكونون تحت حماية رجال أوفياء... لن يُمسّ أحد منهم ما دام لنا في هذه البلاد ظل."

صمت مهيب ساد المكان... ثم قالت نسيبة باندهاش:

– "حماة الفكرة... بدأوا يظهروا."

كان الاجتماع يمضي بثقل.

الكل متعب، منهك من الأسابيع الماضية...

ربى العلي لم تتوقّف.

حملات، إساءات، تشكيك، بل تهديدات خفية لبعض الداعمين.

ورغم صمود الفريق، إلا أن التعب كان ظاهرًا...

حتى بعد عودة *فارس* الذي منحهم دفعة بصبره، وتماسكه، ومبادراته الفعلية، ظلّت أرواحهم تمشي بحذر، وكأنّ شيئًا ناقصًا شهر مضى وحربهم لم تهدأ.

في تلك اللحظة...

انفتح باب القاعة بهدوء.

رفيدة وقفت على العتبة، حقيبة صغيرة على كتفها، نظرتها دافئة لكنها متوترة.

"السلام عليكم ورحمة الله."

صوتها نزل كنبأ سعيد نسيه الجميع.

تجمّد الجمع لثوانٍ.

شهد كانت أول من انتبه، حدقت فيها، ثم شهقت:

"رفيدة؟!"

قامت نحوها بخطوات سريعة وابتسامة عريضة ، تبعتها *إحسان* و *مها* و *نسيبة*

عناق طويل، غير مرتب، مشحون بالدهشة والحنين والفرح المكبوت.

حتى من لم يبكِ، كانت عيونه لامعة.

أحمد وقف، ضاحكًا رغم الصدمة:

"رجوع في الوقت المناسب!"

شاكر أومأ فقط، لكن ابتسامته قالت كل شيء.
يامن حاول يعلّق، لكنه فقط قال:

"ما في تعليق...!"

فارس كان في الزاوية، لم يتقدّم، لكنه وقف احترامًا.
نظرة صامتة، فيها امتنان،عميق...قال
: "الحمد لله عالسلامة."

رفيدة ابتسمت، وبصوت واثق:
"شكرا لكم كلكم، ما قدرت أكون بعيدة أكتر... أنا جيت عشان نبدأ من جديد،أقوى، أنضج، ولو الدنيا كلها ضدّنا."

صمت خاشع.

ثم قالت وعينيها تلمع بالإصرار :

"كلنا تعبنا... بس في حتة في قلبي عمرها ما انفصلت منكم. وأنا ما راجعة بس أكون... راجعة أضيف."

انتهى الاجتماع القصير بتحوّل في المزاج.

الوجوه نفسها، لكن العيون امتلأتببريق لم يكن موجودًا قبل ساعة.

كانت رفيدة قد رجعت... والركن الذي فقدوه عاد إلى مكانه.

لكن، وسط هذا النور، ظهرت غيمة جديدة...

شهد، التي كانت من أكثرهم حضورًا، تغيّبت عن آخر الاجتماعات. في أحد اللقاءات، قالتها ببساطة:

"أهلي رفضوا أكمل. بيقولوا الخطر زاد... وانا ما حأقدر ."

إحسان اقتربت منها، وهمست:

– "بس إنتِ كنتي القلب..."

شهد (بصوت مكسور):

– "أنا معاكم بقلبي، بس رجلي ما حتقدر تمشي بعيد عن بيتنا."

في *قاعة الندوات الكبرى*، المقاعد ممتلئة، الأضواء مسلّطة، والعناوين مُعلّقة خلف المنصّة:

> *"العمل المجتمعي بين الحلم والمسؤولية"*

ندوة تستضيف أسماء معروفة... وأسماء تُحارب.

على الطاولة الأمامية، جلست *ربى العلي*، بكامل هندامها، تتحدث بثقة:

– *"من غير المقبول أن يُسلّم العمل التربوي لمن لا يحمل شهادة رسمية معتمدة. نحن لا نلعب بالعقول ولا نُجامل العواطف. دعونا نعيد الأمور لأهلها."*

تصفيق حار بعضه مجاملة... بعضه ضغط.

لكن الأعين بدأت تلتفت للناحية الأخرى من المنصة.

رفيدة، التي عادت من سفرها قبل اسبوعين، تجلس بهدوء لا لافتات، لا صوت مرتفع. لكن شيئًا في حضورها كان يسبق الكلمات.

مدير الندوة:

– "الكلمة التالية للسيدة *رفيدة محمد* ،الناطق الرسمي لفريق النور."

رفيدة وقفت، أنفاسها بطيئة، الورقة في يدها ترتجف قليلًا... لكن عينيها؟ ثابتتان.

بدأت بعبارة بسيطة:

– *"أنا لا أملك شهادة تُرضي السيدة ربى... لكني أملك شيئًا ربما نسيه كثيرون: أن أكون إنسانًا أولًا"*

سكون تام. العيون مشرئبة. الكاميراتبدأت تقترب.

– *"نحن لا نُنافس المدارس، ولا نلغي الشهادات. نحن نكمل الفراغات بين السطور.

نحن اليد التي تُمسك الطفل حين يخاف، والأذن التي تسمع الأم حين تنهار.

نحن الحكاية التي تعيد للأحياء إيمانهم بأنهم يستحقون."*

تتوقف لحظة، تنظر في الوجوه.

"نعم، قد نخطئ... لكننا لا نزيف لا نستخدم الأطفال درعًا إعلاميًا، بل نبني معهم دروعًا ضد اليأس.

وقد لا يعجب هذا بعضهم... لأن النور لا يناسب الجميع."

وهنا... من خلف القاعة، *د. سامي* يقف.

لم يصفّق.

لم يتكلم.

فقط وقف... وابتسامته الصامتة كانت أقوى من ألف كلمة.

ربى العلي شعرت بالارتباك للحظة... نظرت حولها تبحث عن دعم، فلم تجد إلا نظرات محايدةونظرات ثابتة من اعضاء الفريق .

رفيدة (تنهي خطابها):

– *"ما نفعله ليس عملاً تطوعيًا فقط... هو محاولة لترميم ما لم تفعله الأنظمة.

وكل من يحارب ذلك، عليه أن يسأل نفسه سؤالًا بسيطًا: هل يُزعجه الفشل... أم الضوء؟"*

تصفيق. حقيقي. مُزلزل.

والندوة... تغيرت ملامحها إلى الأبد.

ورغم الألم، لم يتوقف الفريق. بل على العكس...

توسّع البرنامج،وانتشر صداه في أحياء لم يكن الفريق بحلم بسماعها الحكاية.*

بدأت المؤسسات تطلب نسخًا مصغرة منه لمدارسها،

صُوّر الفريق في تقرير إخباري محلي،

وأصبح الشعار:

"كل خطوة تُزرع... تثمر في قلوب."

يامن قالها ذات مساء، وهو ينظر للسماء:

– "ربنا ارسل لينا الحارس... بس الباقي؟ دا شغلنا."

عاد كل شيء إلى موقعه، وكأن الفوضى لم تمر...

لكن الذين عبروا يعرفون أن ما عاد ليس كما كان، بل أجمل.

ضحكات الأطفال تعلو من الساحة، يركضون خلف *فارس* الذي صار أكثر تنوعًا في أفكاره، العاب جديدة ومواهب تُكتشف، كانوا يضحكون بحماس ويتقافزوا من شدّة فرحهم.

إحسان في الزاوية تبتكر ورشة “الخيال الملوّن”، وفي الجهة الأخرى، *نسيبة* ترشدهم لصناعة ألعاب تعليمية من أشياء بسيطة، وتحوّل “البلاستيك المهمل” إلى مشروع فني صغير.

كان *حسام* منشغلًا في توثيق اللحظات من زوايا غير معتادة، بينما *يامن* يختبئ ليُفاجئهم من جديد بـ"اختبار سحري"، فيضحكون، ثم يصرخ أحدهم:

"يامن تاني؟! دايمًا تعمل كده!"

شهد و*مها* يوزعن الأدوات، يُشرفن على المهام.

أحمد يدير وقت الورش، بتكتيك هادئ، بينما يراقب التفاصيل الصغيرة.

الهتافات ترتفع:

"نحن نحبكم! فريقنا الأفضل!"

"التعليم صار لعب ومتعة!"

"ما دايرين نرجع بيوتنا!"

حتى *د. سامي*، جلس في آخر الصفوف، يبتسم بصمت...

كأنّه يكتب في رأسه سطرًا لمقالٍ جديد:

"هكذا تُصنع النهضة... من قلب طفل يعرف من يكون، يضحك بصدق."

ذلك اليوم، لم يكن مجرد عمل تطوعي، كان لوحة مكتملة من ضوء، صوت، أمل، ودفء.

قرر الفريق تنظيم رحلات ميدانية لتشجيع الأطفال على الاستمرار في التعلم كما اقترح يامن سابقا .

...في زاوية الورشة، لاحظت *نسيبة* طفلة صغيرة تجلس صامتة، تحدّق في الورقة دون أن ترسم.

اقتربت منها بلطف، وجلست على الأرض قُبالتها، ثم همست:

"عايزة ترسمي شنو؟"

رفعت الطفلة رأسها ببطء، وقالت بصوت خافت:

"أنا ما بعرف أكون زي الباقين."

سكتت *نسيبة* لحظة، ثم أخرجت من جيبها ورقة مطوية...

كانت مرسومة بخط ركيك، عليها عبارة كتبتها يومًا بعد أول ورشة فشلت فيها.

"الليلة ما نجحت... بس بكرة حرجع وأجرب تاني."

أعطت الورقة للطفلة وقالت:

"أنا كتبت دي زمان... وقت كنت زعلانة إني ما قدرت أشرح كويس. بس رجعت، ونجحت."

نظرت الطفلة في الورقة، وابتسمت ببراءة، ثم أخذت القلم وبدأت ترسم زهرة.

وفي نهاية اليوم، ركض طفل صغير نحو الفريق، يحمل لوحة كبيرة، كتب عليها:

"أنتم مش بس بتعلمونا... أنتم بتحبونا."

ثم قال بصوت مرتجف لكنه حاسم:

"أنا عايز أكبر وأبقى زيكم."

ساد صمتٌ خفيف، تبعته نظرات امتنان وتنهيدةمن *د. سامي*.

فهموا عندها أن ما يصنعونه ليس وقتًا ممتعًا فقط... بل أثرًا لا يُنسى

أسبوع انقضى والفريق على حاله ما بين تخطيط واعداد برامج

إجتمع الفريق عصراً على طاولةٍ كبيرة، يملؤها الحماس وتفاصيل الخطط الجديدة.

أحمد نشر الورق أمام الجميع، ثم قال:

"الفريق وعد الاطفال برحلة وجاء وقت اننا ننفذ الوعد نبدأ بالصف الثالث ."

مها أضافت وهي تشير إلى ملف أمامها:

"نحن عند وعدنا ودا جدول الرحلات،الأولى للمشتل وانا مرافق الرحلة، والثانية والثالثة برفقة يامن لمزرعة الأسماك، حديقة الحيوانات تفاصيل الرحلات جاهزة الميزانية، جدول الرحلة... الخ ."

*يامن *

" تمام جدا "

شهد:

"بس نحتاج شخص يوثق الرحلة مع أطفال الصف الثالث... حسام، دا مجالك ."

حسام نظر إليهم وقال ضاحكًا:

"يعني كلكم تقعدوا في الظل هنا، وتخلوني أجري وراهم في الشمس؟"

يامن:ضاحكاً

"أنت الكاميرافي يدك، يا رجُل! دي مسؤولية وطنية ."

فارس ابتسم وقال:

"نحنا محتاجين التوثيق،وأشعة الشمس مفيدةصباحا على فكرة ."

*رفيدة *بنصف إبتسامة

"ما عندنا حل تاني "

سكت *حسام* لحظة، ثم قال بأبتسامة :

"طيب... الأمر لله مافي حل تاني"

يامن

"ممكن امشي انا أوثق ومنها تكون رحلة بدل الورق والخطط والقهوة السادة "

*شاكر *

" انت ماشي وين جدولك معانا مليان "

يامن

"ظلم يا جماعة انا شخص ميداني ليه بتهدروا الموهبه دي بين الأوراق"

ضحك الجميع ثم نهضوا ليُكملوا ما عليهم ، بينما حسام يجهز ما يلزمه لالتقاط تفاصيل لا تُكتب... لكنها تُحس فالرحلة الميدانية بعد ايام .

وفي الخلف، قالت *نسيبة* بهدوء:

"عشان ننجح... كل زول فينا لازم يعرف دوره، ويتمه على أكمل وجه."

****

اول رحلة ميدانية برفقة مها وحسام

في صباحٍ منعش، كانت *مها* تقف قرب بوابة المدرسة حولها الأطفال بحماس واضح وضحكات لا تهدء، تمسك بيدها لائحة بأسماء طلاب الصف الثالث الذين ستصطحبهم إلى *المشتل الزراعي* الذي يملكه خالها.

حسام وصل المدرسة و يحمل الكاميرا،يعبث بزوايا العدسة القى السلام وردوا جميعا.

قالت له بابتسامة خفيفة:

"يبدو أنه التصوير حيبدء من هنا."

ضحك وهو يرى الحماس والفرحة على وجوه الاطفال:

"وأنا جاهز أصور أي شيء يخلي القلب أخضر."

تحركت الحافلة ومعها كان الأطفال يتهامسون بحماس، وهم يحملون ضحكاتهم وأعينهم اللامعة، بينما كانت *مها* تحمل شيئًا آخر:

إيمان عميق بأنّ الطفل لا يُصنع بالحفظ والتلقين... بل بالحب والفهم والتجربة.

"في لحظة إشراق، أنشد حسام بصوته العذب، والأطفال يرددون معه في انسجام . حتى وجدوا أنفسهم في المشتل الساحر، حيث يتدفق النسيم العليل برقة، ويعبق الجو برائحة الريحان والنعناع، فتملأ الأنوف بعطرها الساحر الذي يبعث على الاسترخاء. تتراقص الأزهار بألوان متنوعة وأشكال خلابة على بساط من العشب الأخضر، والأشجار المثقلة بالثمار الناضجة تقف في شموخ كأنها ترحب بهم، العصافير تغرد بألحانها العذبة وترفرف بأجنحتها في رقصات رشيقة، وتشكيلاتالفراشات الملونة حول الازهار. كل شي هناك يبعث الطمأنينة والسرور في النفس .

. كان الأطفال يركضون بين الأشجار، بخفة الطيور، وكأن أرواحهم تنتمي إلى هذا العالم السحري، يستنشقون عبير الحياة بكل حواسهم، ويستمتعون بجمال الطبيعة الخلاب، ويشعرون بالحرية والانطلاق."

وقفت *مها* في وسط الدائرة، وقالت بصوتٍ مفعم بالحب:

"شايفين الزرع دا؟ دا ما نبت فجأة. في زول تعب، سقى، صبر، ورجع كل يوم ارعاها فكبرت وأعطت الازهار والثمار .

زي الخير في الدنيا... بيكبر على قدر ما نرعاه وكل ما كبر عشّنا بسعادة وفرح ."

أتى العم ماهر (خال مها) وهو يبتسم لهم

الأطفال

"السلام عليكم "

*العم ماهر *

" عليكم السلام ورحمة الله، اهلا بيكم ياغاليين "

ثم بدأت الجولة.

*العم ماهر * شرح لهم عن الزرع، عن الوقت، عن العناية.

أما *مها* فكانت توزّع النظرات والكلمات كما توزع الشتلات.

أحد الأطفال سألها ببراءة:

"عم ماهر قال ان النباتات خلقها ربنا لينا نحن ليه هو بيحبنا ؟"

نظرت إليه *مها* بلطف وقالت:

"أكيد بيحبنا ، ربنا خلقها عشان لمن نجوع ناكل منها ونعطي غيرنا، لمن نمرض نتعالج منها ونعالج غيرنا ربنا خلقها عشان نخلي الحياة الطف واجمل ."

ركض الطفل نحو العم ماهر يساله المزيد عنها.

في الجهة الأخرى من المشتل اقترب *حسام* من مجموعة أطفال، وجلس على الأرض بينهم.

أخرج دفترًا صغيرًا، وبدأ يرسم نبتة.

أحد الأطفال (ينظر إلى رسمة حسام):

– "أنا عايز أزرع شجرة باسمي... ممكن؟"

حسام (بابتسامة مشرقة):

– "ممكن... وباسمك الكامل كمان!"

ضحك الأطفال، وبدأوا جميعًا في اختيار شتلاتهم، يكتبون أسماءهم على تربتها ، وكأنهم يعقدون معها عهدًا جديدًا.

مها (تتجول بين الأطفال وتهمس):

– "الناس بتفتكر التربية كلام... لكن الحقيقة؟ هي زراعة بعيدة المدى واحترام لعقل الطفل وقلبه ."

وفي طريق العودة، كانت الشتلات الصغيرة ترتجف في أحضان الأطفال، كأنها تحمل معهم حلمًا صغيرًا... ينمو.

١٥.

نسائم السنن بعد أقصى البذل تدهش

رغم ضجيج الحياة، كانت خطوات الفريق أكثر ثباتًا من أي وقت مضى. إعلان الشركة رسميًا أنها لن تسحب التمويل أشعل شيئًا عميقًا في الجميع... كأنهم أُعطوا قبسًا جديدًا من الأمل.

في اجتماع غير رسمي بمقهى أحمد وحسام، وسط فناجين القهوة وأوراق البرامج، جاء صوت *فارس* كعادته هادئًا ولكن وافر الثقل:

"طيب... بعد كل دا، في سؤال لازم يتجاوب: هل نقدر نمشي خطوة أعمق؟"

ساد الصمت.

شهد قالت:

"تقصد...؟"

فارس:

"أولاد الشوارع. الناس المنسيين."

تبادل الفريق النظرات. البعض توتر، البعض تحمس، لكن *د. عارف* قال بنبرة تأمل وتحليل:

"الفكرة إنسانية، بس لازم نكون واقعيين. فيه خطوط أمنية واجتماعية، ومصالح ضخمة جدًا متشابكة... مش أي فريق بيقترب من المجال ده وبيخرج سالم."

إحسان:

"بس لو ما حاولنا؟ من يحاول؟"

د. سامي تنحنح، فتح جهازه المحمول، ثم عرض رسالة وصلت إليه على بريده الإلكتروني:

"كل من يقترب من عيال الشوارع سيكون مصيره القبر، فهؤلاء ليسوا من نصيبكم... نحن من نملكهم، ولا نحب أن نخسر تجارتنا."

خيم الصمت.

حسام (بهدوء متوتر):

"هذا تهديد مباشر."

يامن (ساخرًا وهو يحاول كسر التوتر):

"على الأقل أكدوا إننا بنشتغل صح!"

أحمد:

"بس إحنا مش جهاز أمن... ولسه الناس محتاجة لينا."

لحظة من التفكيرالعميق اجتاحتهم جميعًا... ثم رفع *د. سامي* هاتفه وأجرى اتصالًا

"رائد؟ أحتاجك..."

"الفريق تحت التهديد... عايزين نحميهم بس من غير ما نوقفهم."

جاء الرد سريعًا، ثابتًا:

"أنتو ما عليكم. احموا الفكرة، وأنا أضمن سلامة الحملة عندنا علم بالرسائل البتترسل ليكم ."

تبادل الفريق نظرات فيها خليط من الدهشة والامتنان... الخطر حاضر، لكن الله يرسل دائمًا قبسًا حين تنطفئ كل النوافذ.

بعد أن أغلق د. سامي الهاتف، قال وهو يضعه على الطاولة:

"مش دايمًا نقدر نختار المعركة... لكن نقدر نختار نكون صادقين فيها."

رفيدة (تكتب في دفترها بهدوء):

– "والصدق... أحيانًا بيخوف أكتر من أي تهديد."

فارس (يبتسم وهو يتأمل الفريق):

– "لكن في عيونكم... شايف نور ما بينطفئ."

ثم همس لنفسه وكأنه يخاطب الغياب:

"يا رب، احمِ هؤلاء الذين قرروا أن يكونوا صوتًا للمنسيين."

بعد مكالمة *د. سامي*، تغيّر وجه الاجتماع. باتوا يدركون حجم القضية التي يطرقون بابها. ومع ذلك، لم يكن بينهم من يفكر بالتراجع.

د. عارف حمل ورقًا بيضاء وبدأ يرسم دوائر وأرقامًا:

"نحتاج استراتيجية ثلاثية: حماية، تثقيف، إعادة دمج."

إحسان اقترحت:

"لو بدأنا بوجبات بسيطة... نكسب ثقتهم؟"

مها:

"ونحتاج متطوعين فاهمين لطبيعة الشارع... التعامل مع الأطفال في خطر غير سهل."

رفيدة (وقد استعاد صوتها الثقة):

"أنا ممكن أبدأ بالبنات، أقترح ورش صغيرة عن النظافة والرسم، بصورة تمحي الخوف ."

يامن (ناظرًا في دفتر ملاحظاته):

"وأنا ممكن أبدأ تصوير مقاطع خفيفة، من بعيد... نرصد بيها التفاعل بدون ما نحسسهم إننا نراقبهم."

حسام:

"وأنا وأحمد نرتب دعم لوجستي. نجيب أدوات، نعمل صيانة مؤقتة لمكان يجمعهم أول بأول."

نسيبة نظرت إليهم جميعًا:

"يا جماعة... إحنا داخلين حرب غير معلنة، ما بنعرف نتايجها، بس نيتنا إنها تكون نجاة إنسان."

مرت الأيام التالية بخطوات دقيقة. تحرك الفريق بحذر، بثقة، وتحت مظلة حماية غير مرئية من *اللواء رائد*.

كانوا يرون وجوهًا صغيرة أنهكها الجوع، الخوف، والخذلان... لكنهم لم يروا وجوهًا بلا أمل. كل طفل كان كأنه باب جديد،لمكان مجهول... فيه احتمال لحياة أفضل.

وفي أحد الأيام، أثناء توزيع وجبات، اقترب طفل صغير من *أحمد*، شد طرف قميصه، وقال بصوت خافت:

"إنتو ما زي الباقين... ليه؟"

تجمدت اللحظة.

أحمد ابتسم، ثم انحنى أمامه وقال:

"عشان لسه فينا ضمير... ولسه بنشوفك إنسان."

حين يكون جزاء الإنسانية رصاصة

للأسف الف والف يامن قتل ونحن نرى

سامحنا

بدأت ملامح العلاقة بين الفريق وأطفال الشوارع تتغير، لا من خلال الكلامفقط، بل بالفعل، بالمشاركة، بالوجود الثابت.

يامن، الذي كان يظهر دومًا كشخصية مرحة ومشاكسة، بدا مختلفًا معهم. في إحدى الزوايا، جلس على الأرض، وترك الكاميراجانبًا، يحتضن طفلًا بملابسبالية، يمسح دموعه بكمّه:

"أسمك منو؟"

"مهند..."

"من اللي قال ليك إنك ما تستاهل حياة نظيفة؟ نحنا هنا عشانك، مش ضدك."

كان يامن يضحك معهم، يحكي قصصًا، يقلد أصوات الكارتون، يعلّمهم كيف يصنعون طائرات من الورق.

ضحكاتهم تملأ المكان، كأن الزمن قرر التوقف لينصت.

لكن مع هذا الدفء... جاء الظلام.

في المساء، وبينما كان *يامن* يرتب معداته، تلقى رسالة مجهولة على هاتفه. فتحها:

"ابتعد عنهم. آخر إنذار. الصورة جاية بعدك."

وأرفقت بها صورة له وهو يحتضن الأطفال... التُقطت من مسافة قريبة.

تجمّدت يداه، لم يكن الخوف لنفسه، بل لهم... هؤلاء الأطفال الذين بدأوا للتو يعرفون أن لا أحد يركلهم إذا أخطأ، ولا أحد يشتمهم إذا طلبوا ماء.

أخبر الفريق دون تهويل.

د. سامي تلقى الخبر بحزم:

"أعرف مَن يقف خلف هذا لا ترد. الحماية قادمة."

بعد ساعات، تلقى الفريق رسالة أخرى، هذه المرة من *اللواء رائد*:

"الرسالة وصلت. تم تأمين الموقع بثلاثفرق مراقبة خفية. استمروا ..لا تتراجعوا."

تطورت العلاقة. الأطفال بدؤوا يسمونهم بأسمائهم.

أحمد أصبح "العم أحمد الطيب"، *إحسان* "خالتنا حنونة"،

أما *يامن*... فقد أصبح ببساطة: *"الحنان."*

لم يكن صباح الثلاثاء مختلفًا...

ضحكات *يامن* تسبق خطواته، حقيبته على ظهره، وملف جديد أعدّه بنفسه لتعليم الأطفال عن "الكون والخلق".

في تلك الجلسة، ضحك *إلياس* حتى دمعت عيناه،وغفت *لمياء* على الطاولة بعد أن كتبت اسمها لأول مرة دون أخطاء.

وقبل أن يغادر، التفت إليهم قائلاً:

"عايزين نطير... بس ما ننسى نرجع نجيب باقي إخوتنا."

ضحكوا، ولوّحوا له من النافذة.

لكنه لم يلوّح كعادته.

فقد كان يفكر برسالة التهديدالتي وصلته أمس.

"لو ما بعدت عن أولاد الشوارع... حتنضم ليهم."

لم يخبر أحدًا.

كتمها، وأصر أن الحب أقوى.

خرج بعد العصر، وحده، من باب المكتبة.

وبينما كان يعبر الزقاق المؤدي إلى المقهى الصغير حيث سيقابل *أحمد* و*حسام*، سقط كل شيء.

**طلقتان...

ثم صوت خفيف لورق تناثر.

ثم صمت.**

المارة توقفوا.

رجل ركض.

امرأة صرخت.

وبقي *يامن* ممددًاعلى الأرض، صدره ينزف على أوراقه، وعلى أحدها... رسمه طفل صغير كان قد كتب عليه:

"أحب أستاذ يامن... هو بابا الحلو ."

وصلت *رفيدة* و*إحسان* و*أحمد* في لحظة الانكسار.

جثت *إحسان* تبكي، وصرخت *رفيدة*:

"كان حيضحّي بنفسه... بس ما نضيع تضحيته."

أما الأطفال، فلم يبكوا أولًا... وقفوا بصمت، وجوههم مجروحة، ثم قال *مهند* بصوت مبحوح:

"ما تقولوا مات... قولوا رجع للسما، وحنشوفه لما نكبر ونغير الدنيا زيو."

***

في اليوم التالي، لم تغلق المكتبة أبوابها.

الأطفال جلسوا وحدهم... فتحوا أوراقهم... وكتبوا.

"أنا حأكمل يا أستاذ."

"أنا حأدرس عشان ما يقتلوا حناننا تاني."

"أنا حأكمل، يامن."

***

خبر مقتل *يامن* ملأ الصحف.

#شهيد_الرحمة

#معلم_القلوب

#رصاصة_ضد_الحب

لكن شيئًا لم يُطفئ شعلة النور التي زرعها.

في كل شارع... حكاية، وفي كل طفل... بقايا قلب عاشق علّمهم أن الإنسان لا يموت حين تُطلق عليه رصاصة... بل حين يتوقف عن الحُب.

-

"حين تبكي الجدران ويصمت الكلام"

الخبر انتشر أسرع من صوت الرصاص...

يامن... قُتِل.

الدماء التي صبغت زاوية الشارع لم تجف، لكنها لم تكن أبلغ من النظارات المكسورة، أو الورقة التي كتبت عليها طفلة من أطفال الشوارع:

"كان أول من قال لي: أنا أؤمن بك."

عند المكتبة، لم يكن أحد قادراً على الكلام.

شهد وضعت يدها على فمها، وانهارت تبكي دون صوت.

حسام جلس على الأرض، لم يكن يصرخ... بل كان يتنفس بثقل، كأنه يُجبر صدره على احتمال الحياة.

أحمد وقف عاجزًا، ينظر للأفق بعينين جامدتين...

مها حاولت أن تقترب من *إحسان*، لكنها وجدت نفسها تنهار بين ذراعيها.

نسيبة كانت تمسك بكتاب *يامن*، فتحته، وسقطت منه ورقة صغيرة كان قد دوّن فيها بخطه المرتب:

"إذا وجدتُ ضوءًا في العتمة، سأشاركه مع كل من عَبَرَت به الظلمة."

رفيدة، وكانها تلقت الخبر من جديد وهي في طريقها للمكتبة. توقفت في منتصف الشارع، وارتجف جسدها، وأول ما نطقت به كان:

"يامن ما بيموت... مستحيل."

لكن الحقيقة كانت أكثر قسوة.

د. سامي لم يستطع أن ينطق باسم *يامن* حين دخل المكتبة، فقط جلس، وأسند رأسه إلى الجدار. قال بهدوء بعد صمت طويل:

"هذا ليس موت يامن فقط... هذا محاولة قتل لأمل بأكمله."

الأطفال، أولئك الذين عاهدهم *يامن*، جاءوا في اليوم التالي بملابسهم القديمة، بوجوه شاحبة...

لكن عيونهم كانت مختلفة.

كانت غاضبة، خائفة، ولكن أقوى من الأمس. *ربيع*، أكثرهم صمتاً، صعد إلى طاولة المكتبة وقال:

"إذا قتلوا يامن، ما حيقدروا يقتلونا كلنا. نحنا أولاده... نحنا الفكرة اللي زرعها."

كسرة جماعية.

أيام مرّت، بلا نشاط، بلا ضحكات، بلا فارس في الملعب، ولا أحمد خلف الطاولة.

الكل كان موجودًا... لكنه لم يكن حيًّا كما قبل.

د. سامي جمعهم بعد أسبوع.

الوجوه مكسورة، الأرواح منهكة، لكن العيون... تبحث عن شيء.

نظر إليهم وقال:

"يامن مات لأن حلمه كان حيًّا جدًا. لو تراجعنا الآن، حيكون مات مرتين."

ثم وضع على الطاولة كرتونة صغيرة.

فتحها، كانت تحوي صورًا ليامن مع الأطفال، مقاطع من تدريباته، وهدايا صغيرة كان يعدّها لهم.

كل شيء صار أثمن... كل دمعة نزلت، كانت توقيعًا على استمرار الطريق.

رسالة من يامن

حياة بعد الحياة

مرت أيام ثقيلة، يغمرها الحزن ويخنقها الصمت. كل زاوية في المكتبة تفتقد ضحكته، مزاحه، خطواته السريعة، وكلماته التي كانت تشعل القلوب.

وفي صباح هادئ، دخل *د. سامي* يحمل صندوقًا صغيرًا. وضعه على الطاولة، وقال بصوته المبحوح:

"هذه وُجدت بين أغراض يامن، وقال إنه كان ناوي يرسلها لكم لو حصل له شيء."

فتح *أحمد* الصندوق بيد مرتجفة. داخله، ورقة مطوية بخط *يامن*، عنوانها:

"إن متّ، لا تدفنوا الحلم"

قرأ *أحمد* بصوت مرتجف:

*"لو قُتلت، فاعرفوا إنهم خافوا من فكرتنا.

لا تنهاروا... تماسكوا، لأن في وجعكم يولد أمل جديد.

أنا كنت أؤمن بكم، كل واحد فيكم.

خليكم سند لبعض، وخلي الحلم يمشي رغم كل شي.

الحق ما بيموت... والظلمة تخاف من نور بسيط."*

ثم أكمل:

*"كبرتوا على قول خالي انتوا يتربوا في اولاد الناس هههههههه... ولو أنا ما كملت، أولادكم ح يكملوا.

وصيتي: ما تتراجعوا. خليكم للناس النور اللي لقيتوهو في بعض.

يامن."*

سادت لحظة صمت ثقيلة... ثم بكى الجميع، بصوت مسموع، بلا خجل.

فارس وضع يده على الطاولة وقال:

"لو اغتالوا يامن ، نحنا أحياء. وما دام فينا نفس... ح نمشي في طريقو."

شهد همست:

"رجعنا يا يامن... وحنكمل."

في نفس اليوم، جاء الخبر.

اللواء رائد دخل عليهم، وجهه حاد، وصوته حازم:

"لقيناهم. شبكة تستغل الأطفال في أعمال غير أخلاقية... القاتل كان أداة، لكن الرأس فوقهم معروف."

رمقهم بنظرة حاسمة:

"لكن ما ح تلمسكم شعرة، أنا معاكم... للآخر."

أول اجتماع بعد رحيل يامن...

في مقهى *أحمد* و*حسام*، اجتمعوا جميعًا.

كلّهم لبسوا قطعة صغيرة على صدرهم كُتب عليها: *"يامن... حي فينا"*

جلسوا في دوائر...

رفيدة قرأت بعض ما كتب يامن.

مها قالت بخنق: "ما بنرجع خطوة."

نسيبة أغلقت دفترها وقالت: "بسم الله نبدأ... مرة تانية."

كان بكاء، وترحم، ولكن تحته... قرار لا يُكسر.

**الفريق عاد.

أقوى.

أعمق.

وكل نفس فيهم... فيه شيء من يامن.**

حين نرى ما يمكن أن يُرى

صرخة مكتومة كانت من رفيدة.

بدأت تسأل هل هذا حلم؟

لم يكن حلمًا فقط.

كان *كابوسًا* غرس أظافره في قلب *رفيدة* ،ورفض أن يتركها.

رأت *يامن* يُغتال أمام عينيها، والدماء تُلطّخ أمل الأطفال.
رأت الفريق يتفكك، وتُطوى دفاتر أحلامهم، كأن كل شيء انتهى.

استيقظت *رفيدة* وهي تصرخ بصوت مخنوق، تتشبث بالهواء كمن يغرق.

***

مرّت الأيام التالية كأنها رماد.

في كل لقاء، كان حضور *رفيدة* شاحبًا، شاردًا، لا تشارك، لا تبتسم.

كانت تحاول أن تبدو طبيعية، لكنها لم تكن.

نسيبة لاحظت.

مها همست لإحسان:

"عينها ما بتكذب... في شي جوّاها بيحترق."

عند صلاة الفجر، كانت تجلس وحدها في ركن الغرفة، تبكي بصمت.

تقرأ سورة يوسف، تتوقف عند الآية:

"فصبرٌ جميل، والله المستعان."

فتجهش بالبكاء من جديدكيف سيصلح هذا العالم الذي يقتل فيه من أراد الخير .

***

في اليوم الرابع، جاءتها *شهد*، وضغطت على يدها برفق:

"رفيدة، تعالي... بس تعالي."

قادتها بصمت إلى الحديقة، ثم أجلستها على مقعد يطل على الأطفال.، أرادت ان تذكرها ان العمل ليس رفاهية وقت ما نحب بل مسؤولية حتى في أحلك الظروف

ضحكاتهم كانت تخترق قلب *رفيدة* كخناجر ناعمة ولا أحد يعلم ما بها كانوا يظننه ضغطاً عابراً، لكنه كان غير ذلك كان ما يمكن أن يحدث فعلا .

وضعت يدها على وجهها، وبدأت بالبكاء، هذه المرة أمام *شهد*.

ثم جاء صوت هادئ من خلفها:

"السلام عليكم ورحمة الله."

رفعت رأسها ببطء، ورأته.

يامن.

لم تكن صدمة، كانت ارتجاجًا داخليًا، كأن قلبها لم يستوعب أن ما رأته كان فقط حلمًا.

يامن وقف ثابتًا، صوته لا يحمل سوى عزمٍوإصرار .

"أنا آسف لو جيتي فجأة وخارج مكان العمل... لكن قلنا لازم نرجّعك لينا. الفريق محتاجك اكتر من اي وقت

نظر للسماء وأكمل

"... آمن مكان للسفينة الميناء لكنها ما صنعت للموانيصنعت تتحدى الخطر وتقطع البحور نحن سفن برضو والأطفال لسة محتاجة والشباب موضوع تاني أكبر، نحن ما عارفين الحاصل معاك لكن ما وقت الانكسارات حتى الانكسارات دي رفاهية ما بنمكلها نحن ما بنملك الا نواصل."

ثم ذهب، يامن اصغرهم عمرا لكن عقله وقلبه أكبر بكثيرـ

رفيدة لم تستطع الحديث.
انهارت دموعها بلا صوت، تمالكت نفسها فقط لتقول:
"كان كابوس عشته بكل تفاصيله كسرني."

*شهد *.
قالت بصوتها المعتاد، لكن بنبرة أعمق:
"الناس اللي فيهم أمل كبير... تجيهم كوابيس كبيرة.
بس لسه صاحيين، ولسه قادرين يبنوا."
***

رفيدة لم تردّ فورًا، لكن بداخلها شيء بدأ يتحرك.
قررت في تلك اللحظة أن تتوقف عن الانكسار...
لكن لم تعد *رفيدة القديمة*.
عادت أكثر حدة، أكثر تركيزًا، وأكثر رفضًا لأي تهاون.

مرّت أيّام لم تكن عادية على الفريق، خاصّة على *رفيدة*.
بعد ذلك الحلم الغريب، شيء ما تغيّر فيها، وإن لم تصرّح.

في أحد الاجتماعات في مقهى *أحمد* و*حسام*، اجتمع الفريق حول الطاولة ذات الزاوية الهادئة، الأوراق متناثرة،

العيون مركّزة... لكن عينا رفيدة تائهتان، تتنقلان بين الوجوه دون أن تنطق.

قال *أحمد* وهو ينظر في دفتر الملاحظات:

– «الأطفال تطوّروا، لكنّنا نحتاج نفَسًا جديدًا في الورش... مرونة أكثر، وتواصل أعمق.»

إحسان أضافت:

– «ورفيدة... ما رأيك؟»

رفيدة رفعت رأسها، قالت بهدوء:

– «الخطوة القادمة لازم تكون محسوبة... نحنا ما بنشتغل مع أطفال عاديين، إحنا بنتعامل مع ماضي مش بسيط.»

شعر البعض بحدّتها، لكنهم التزموا الصمت.

قال *حسام* وهو يحاول كسر الجمود:

– «بس ما ننسى، هم أطفال... وما في شيء ينبت إلا باللين أول.»

شهد نظرت نحو رفيدة بلطف:

– «نفتقد طريقتك، صوتك... حنيتك زمان كانت تسبق أفكارك.»

رفيدة لم تجب، فقط ابتسمت ابتسامة باهتة.

في اليوم التالي، في المكتبة، *يامن* دخل بهدوء، يحمل صندوق أدوات، وتفاجأ بوجود *رفيدة* ترتب رفوف الورش.

نظر إليها وابتسم:

– «سمعت بالحلم...»

توقفت، تنفّست بعمق، ثم قالت بصوت هادئ:

– «ما كان عندي رغبة أتكلم، لكن فعلاً، ما قدرت أتجاهله.»

سكتت قليلًا، ثم قالت وهي تنظر في شاردة كأنها تراه مجددا :

– «أثر فيني. خلاني أخاف من إني أكون سبب ضعف. أنا كنت دايمًا حريصة... لكن الخطر بيتربص اكتر .»

ردّ *يامن*:

«رفيدة، الخوف ما بعيب، لكن الانسحاب بيعطّل. نحنا محتاجينك... ما ضرويري زي ما كنتِ، بل ضروري تتطور ي لكن وين مرونة القابد .»

ابتسم بخفة وأضاف:

– «رجوعك مهم، لكن ما لازم تضحّي بنفسك عشان الفريق.»

أغمضت رفيدة عينيها لحظة وفتحتها كمن تفاجأ ، ثم همست:

– «إن شاء الله أرجع... أقوى، لكن باتزان.»

في اليوم الذي يليه، بدأت ملامحالتغيير تظهر:

رفيدة ما زالت حذرة، أكثر صرامة، لكنّها عادت تتحدث، تقترح، تشارك.

الفريق قرر أن يعطيها الوقت... و*فارس* كان أول من علّق مبتسمًا:

– «رفيدة جديدة... لكن فيّها شيء من مرونتها الأولى.»

ضحك يامن، وأجاب ممازحًا:

– «يعني رجعت، لكن بالنسخة الـ 2.0.»

رفيدة ضحكت أخيراً بين الأطفال ، وشيء من الضوء عاد لعينيها، لكنها بقيت تردد في سرّها:

"أنا بخير... بس الحلم ما فارقني."

فارس و بطل

رحلة فارس لم تكن غيابًا... بل كانت بناءً بصمت.

حين أخبرهم ببساطة: *"ما حأقدر أحضر الفترة الجاية"*... لم يكن يخفي خبرًا بقدر ما كان يحميهم من اختبار جديد.

سافر في صمت، يحمل مشروع "جيل عرفات" كأمانة بين عضلات التدريب وعرق الجهد.

وفي بلدٍ آخر، وسط قاعات التدريب الصارمة، كانت فكرته تلمع دون أن يُعلنها.

كان فارس... القدوة الصامتة.

في أوقات الاستراحة، لم يكن يتحدّث كثيرًا. لكن مَن رآه يقسّم وقته بين تمارين قاسية، وكتابة سريعة على اللابتوب، وصوت يتصل من بعيد، عرف أن وراءه شيئًا أعظم من الإنجاز الشخصي.

كرم، زميله في المعسكر، سأله في لحظة تعب:

– "كل التعب دا ليه؟ دا تدريب مش ساحة معركة!"

رد فارس بابتسامة هادئة:

– "أنا بؤمن إن الله خلقنا مستخلفين، وده معناه إن كل لحظة، كل نفس... أمانة. طالما أقدر أكون سبب خير، حتى لو بسيط، لازم أكون."

كانت كلماته كفيلة بزرع الدهشة والاحترام.

وهكذا، بدأت الفكرة تنتقل... ليس كمشروع، بل كإلهام. شباب النادي هناك نظموا حملة دعم، ليس لأن الفريق كان محتاجًا، بل لأنهم رأوا ما يستحق أن يُدعَم.

وحين عاد فارس... لم يعد خالي اليدين.

كان الفريق قد حصل على تمويل رسمي من شركة راعية،

لكن فارس؟

فارس بنى "البيت".

مقرّ رسمي. أدوات حديثة. مساحة للتدريب، للإبداع، وللحلم.

وفي غرفة صغيرة داخله، خصص ركنًا للذكرى:

لوحة كبيرة عُلّقت عليها كل الأدوات البدائية التي بدأوا بها... أقلام قصيرة، أوراق مطوية، كرة قديمة، ونسخة أولى من شعار "جيل عرفات".

سلّم المفاتيح للفريق، وقال بهدوء عميق:

– "كل خطوة مشيتوها، كنت أحسها. فكنت لازم أمشي برضو... بطريقتي."

حسام، بصوت ممتن:

– "يعني تعبك الغايب كان عشان يوم زي دا؟"

أومأ فارس بابتسامة خفيفة:

– "أنا ما غبت... أنا كنت بجهز لمكان يليق بيكم."

يامن، كعادته، قاطع اللحظة بجو مرح:

– "طيب كان تقول لينا نجهز كاميرا درامية من أولها!"

ضحكوا جميعًا... لكنها لم تكن ضحكة عابرة.

كانت لحظة إدراك:

أن كل تعب، كل غياب، كل صمت... حين يكون لله، يتحوّل إلى نور.

وأن الانتماء لفكرة،حين تكون نابعة من إيمان... تصنع فرقًا لا يُقاس بالكلمات.

لقطة الختام (بصرية)

اللوحة المُعلّقة – كتب تحتها فارس بخط يده:

> "هنا بدأت الحكاية... وها نحن نكتب فصولها.

> الخليفة لا يُولد عظيماً، لكنه يعرف لمن يعمل... ولمن يعيش."

أخيراً

و يبدأ البناء

بعد مفاجأة فارس وافتتاح المقر الرسمي، بدأ الفريق أول اجتماع عملي في الجلسة الأنيقة التي أعدّها بنفسه.

حسام، وهو يستلقي على الكرسي بارتياح:

– "عمو فارس غير ليكم الأجواء خلاص..."

يامن ضاحكًا:

– "فارس العجوز، صاحب المشاريع الثقيلة."

حسام يزيدها وهو يغمز:

– "فعلاً... مدربنا الدولي!"

فارس التقط وسادة ورماها عليهما وهو يقول بنبرة مصطنعة حازمة:

– "بعد ما بقيت القائد، كل تمرد يُعاقب! احتمال أخلّيكم تبيتوا هنا اليوم تنظفوا."

ضحك الجميع. الجو كان خفيفًا... لكن خلف الضحك، كان هناك شعور بالامتنان.

حسام بنبرة تمثيلية:

– "أنا أساسًا شخص مسكين، ما بتحمّل الشدايد. بعتذر يا دكتور فارس... أقصد كابتن فارس."

يامن:

– "أول ما شم ريحة العقوبة، انقلب على طول."

فارس ضاحكًا، ثم بصوت أكثر هدوءًا:

– "بجد، آسف على غيابي. كنت حاسس إني تخليت عنكم وقت احتجتوني، بس كنت بشتغل من بعيد عشان اللحظة دي."

حسام، وقد بدا عليه التأثر رغم المزاح:

– "ما في زول فينا شال عنك لحظة لوم، بالعكس... كنا محتاجينك، لكن كنا فخورين إنك بتقاتل عشان الحلم بطريقتك. الغياب ما كان تخلي... كان تضحية. وإحنا شايفينها."

ضحكوا جميعًا... لكنهم كانوا يعلمون... أن هذا اليوم، ما كان ليكون، لولا قلب فارس الذي حملهم معه في الغياب.

— لأنهم اليوم يعلمون أن التقدير لا يُطلب، بل يُصنع.

— وأن الإنسان، حين يعرف أنه مستخلف، لا يكتفي ببيانات، بل يترك أثراً.

رفيدة، التي كانت بالأمس أكثر تحفظًا، أصبحت اليوم أكثر قربًا... لكن بشكلٍ مختلف. تسأل، تدوّن، تتابع كل التفاصيل. لم تعد تتركَ شيئًا للصدفة. حتى حين تعبّر، تفعل ذلك بحذر، وكأنها تمشي على زجاج.

في أحد اجتماعات الفريق، وقف *أحمد*، ممسكًا بورقة فيها جدول توزيع الورش الجديدة:

"عدّلنا الجدول... وفتحنا باب للورش الحُرة. اللي عنده فكرة خارج الإطار، يقول."

رفع *فارس* يده:

"أنا ناوي أبدأ سلسلة 'احكِ لي' للأطفال... جلسات حكايات نكتشف فيها مشاعرهم من غير توجيه مباشر."

ابتسم *يامن*:

"جميل يا فارس. وأنا ناوي أضيف جزئية الرسم التعبيري، خصوصًا لأولاد الشوارع."

رفيدة علّقت بهدوء:

"بس محتاجين نحمي الأولاد نفسيًا من الضغط الزائد. خصوصًا إن بعضهم بدأ يظهر عليه توتر جديد..."

حسام أومأ:

"صح. حتى أنا لاحظت دا على كمال... الطفل دا بيشيل في قلبه كتير."

ثم أضاف: "أنا جاهز أعمل جلسات دعم فردي لبعضهم. ما حيكون رسمي... بس حيبقى بيني وبينهم مساحة أمان."

ساد صمت قصير، ثم قالت *نسيبة*:

"محتاجين كمان نجدد تواصلنا مع المدرسة. حسيت فتور في تعاونهم مؤخراً."

قالت *شهد*:

"وأنا بجهز مبادرة 'أهالينا شركاء'... نخلي الأهالي جزء من عملية التغيير."

بينما الكلام يدور، *رفيدة* تمسك نوتتها، ثم ترفع رأسها:

"دايما في فرصة نكون افضل ونحسن، طريق التحسين ما وردي بل زجاج مطحون وجمر نمشي عليه بأيمان دايما بأن الخير هو طريقنا الوحيد ."

نظرت نحو الصور المعلقة للأطفال في أحد الأركان:

"أولاد الشوارع ...الخير حتى في قلب الإنفاق المظلمة يزهر ."

نظرت للفريق المشغول بالنقاش

" لكن يحتاج بواسل "

وفي ختام الاجتماع، رنّ هاتف *أحمد*، وعيناه اتسعتا بعد القراءة:

"في جهة إعلامية عايزة تعمل وثائقي عن شغلنا... ودا ممكن يقلب كل المعادلة."

رفع *يامن* حاجبه مازحًا:

"أحسن... خلي ربى العلي تشوفنا من شاشة أكبر بدل ما تراقبنا من بعيد!"

ضحك الفريق، لكن في قلوبهم يقين جديد:

الظل لا يُحارب بالظل... بل بنور لا ينطفئ.

خاتمة الجزء الأول:

عاد الفريق بعد كل الصعوبات، وعادت الحياة تزدهر في أركان المكتبة والمقهى والمقر الجديد. في قلوب الأطفال والشباب، نمت عزيمة لا تلين للمضي قدمًا. تم تطبيق خطة المبادرة في قرى ومدن قريبة، وبدأ الوعي يرتفع تدريجيًا.

ضحكات الأطفال عادت تملأ الأجواء، والورش التدريبية أصبحت أكثر حيوية وجاذبية، مما جعل الفريق أقرب من أي وقت مضى إلى هدفه.

كون طلاب المدارس التي زاروها رابطة قوية، إذ أصبحت البذور التي زرعوها رسلًا يحملون الشعور بالمسؤولية تجاه المبادرة التي منحتهم رؤية وأملًا جديدًا،وتعهدوا بتمديد يد العون كما تلقوها.

لكن هذه ليست النهاية، بل بداية جديدة... بداية فصل مختلف من الرحلة، حيث لم يعد العمل مجرد مشروع، بل تحول إلى نموذج مجتمع متكامل،يدعم أفراده ويغرس القيم في نفوسهم.

تم بحمد الله.

هذا العمل لم يأتِ من مجرد كاتب، بل من إنسان عايش الألم والأمل معًا، يحمل في قلبه رؤية للتغيير واشتياقًا لغد أفضل.

أهدي هذا العمل، رغم تواضعه، إلى من كانوا نِبراسًا في ظلمة دربي، إلى من تركوا بصماتهم في روحي وقلبي

فلله الحمد والشكر

أهدي هذا العمل رغم تواضعه الى:

°د.أحمد خيري العمري .

°أستاذ أحمد الشقيري.

°الشيخ فهد الكندري.

وكل من ترك أثر فيّ.